جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي
دراسات أدبية
لأدب حديث ومعاصر

رقم: ح2018/10/61

إعداد الطالب:
سعاد ساكر

يوم: 27/06/2018

الاغتراب في رواية "خرائط لشهوة الليل" لبشير مفتي

لجنة المناقشة:

فاطمة دخية	أ. مح ب	محمد خيضر بسكرة	رئيســـا
هنية جوادي	**أ. مح أ**	محمد خيضر بسكرة	مشرفا ومقررا
آسيا جريوي	أ. مح ب	محمد خيضر بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1438-1439هـ/2017-2018م

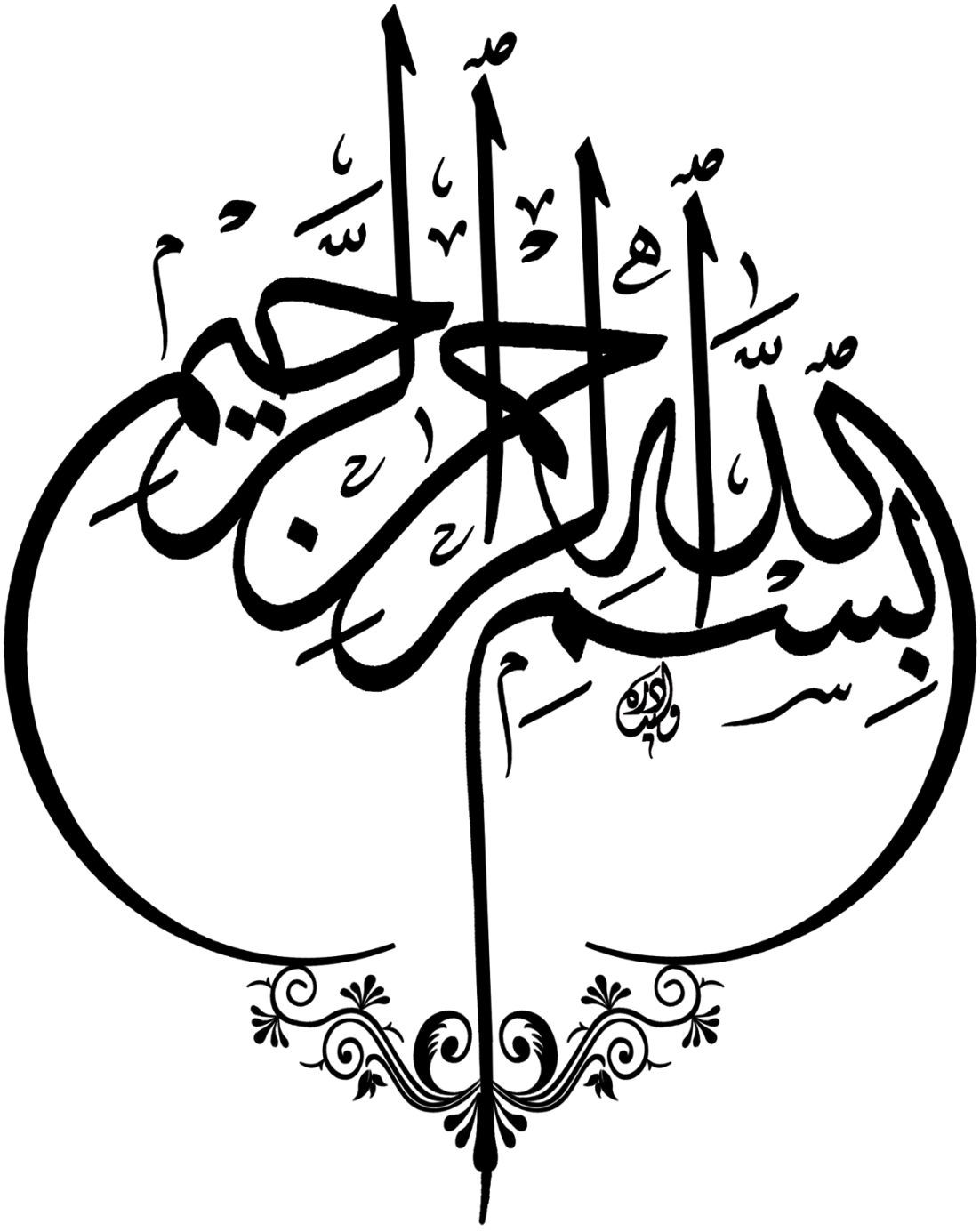
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين، الذي أمدني بالنعم التي لا تحصى وبعد ...

فما دام الشكر واجبا، والاعتراف بالجميل فضيلة فواجبي أن أرفع أسمى معاني الشكر والعرفان لأهل الفضل، والكرم وأخص بالذكر أستاذتي المشرفة الدكتورة " **جوادي هنية** " التي شرفتني بوضع اسمها وبصماته في هذا العمل وشكرا لك أستاذتي الكريمة على ما أكرمتني به من حسن توجيه ودقة ملاحظة وأسال الله عز وجل أن يجازيك عني خير الجزاء ويجعل ما بذلته من جهد في ميزان حسناتك.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير، والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، الى الذين مهدوا لنا طريق العلم، إلى جميع الأساتذة الأفاضل وفي مقدمتهم الأستاذة الفاضلة الدكتورة زاغز نزيهة التي أفادتني من سديد رأيها ووجيه نصحها.

مقدمة

يعد موضوع الاغتراب من المواضيع المهمة التي نالت حيزاً هاما في الدراسات الأدبية الغربية والعربية، بوصفه موضوعاً شُغلت به الأذهان، وتناوله العديد من الدارسين المحدثين، والأدباء والمفكرين وعلماء النفس، والذي ألقى بظلاله على حياة الإنسان نفسيا وجسديا ليغترب عن طريق الهجرة من مكان إلى آخر ليعيش غربته بعيداً عن الوطن الأصل أو بالانطواء عن الذات، والانفصال عن الآخرين والمجتمع، أو بإنكار ورفض النظام القائم بشتى أيديولوجياته، فتنعكس عليه سلباً فيصبح بذلك منفصلاً عن المجتمع والدولة المتسلطة، ويعاني من توتر نفسي وقلق وعدم شعور بالقدرة على الانسجام مع أفراد مجتمعه، وإحساسه بالضياع، والإحباط والوحدة النفسية والعجز في الحياة.

وبما أن ظاهرة الاغتراب لصيقة بالوجود الإنساني ومرتبطة به، نرى انعكاسها على الأدب بالتعبير عنها، وبخاصة في الرواية تحديدا، والتي تعد من الأجناس الأدبية الحديثة، التي استطاعت أن تثبت وجودها في الساحة الثقافية العالمية، لأنها تجسيد لاستجابة إنسانية لرؤية العالم، ومرآة عاكسة لحياة الفرد، والواقع الاجتماعي، والرواية مثالاً حق للتعبير عن حالة نفسية تترجم إحساساً، وعواطفاً وأفكاراً تعكس تجارب الروائي المليئة بالآلام والأحزان في صور وأشكال مختلفة، فيعمل على نقل رؤيته وأثر التحولات المحيطة به في بنيته النفسية والفكرية.

وقد خصصت دراستي هذه حول ظاهرة الاغتراب في الرواية الجزائرية ، الأمر الذي دفعني لانتقاء نموذج روائي يحاكي موضوع الاغتراب ويوليه عناية واهتماما، ألا وهو رواية "خرائط لشهوة الليل" للكاتب "بشير مفتي"، والتي تعد واحدة من تلك الروايات الجزائرية التي حاولت أن تجسد تاريخيا حياة الإنسان الذي يعاني الوحدة والألم والأسى، والمعبرة عن واقع اغتراب المثقف المهمش من طرف السلطة أو الدولة سواء من جانب المرأة أو الرجل، حيث تسعى هذه الدراسة إلى معاينة أنواع هذا الاغتراب، والكشف عن سمات الشخصية المغتربة، من جهة أخرى .

كان الدافع من وراء دراستي هذه محاولة إماطة اللثام، وكشف خبايا هذه الظاهرة الإنسانية "ظاهرة الاغتراب" المنعكسة في عمل الروائي "بشير مفتي" من ظروف سياسية واجتماعية فرضت

على الإنسان في وطنه، والتي لا يمكنه على أية حال أن يتقبلها أو يتعايش معها في ظل الاحتلال أو الاستسلام، ووفق موضوع الدراسة نطرح الإشكالية في شكل تساؤلات واستفهامات سنحاول قدر الإمكان الإجابة عنها وهي كالآتي:

أولاً: ما مفهوم الاغتراب؟

ثانيا: وكيف كانت النظرة الغربية والعربية له؟

ثالثا: ما أنماطه المتسمة في الدراسة؟

رابعا: وكيف تجلَّى داخل البنية السردية؟

خامسا: ما الذي أسهم في توليد مشاعر الاغتراب لدى شخصيات الرواية؟ وكيف تجسدت كرؤية فيها؟

ارتأيت في هذه الدراسة تقسيم البحث وفق خطة تقوم على فصلين ومذيلة بخاتمة، تناول الفصل الأول المعنون بالاغتراب المفهوم، والأنماط، مفهوم الاغتراب في اللغة العربية والأجنبية أما من الناحية الاصطلاحية فقد بحث مفهوم الاغتراب في الفكر العربي والغربي وحاول إبراز أنماط الاغتراب (الذاتي النفسي، الاجتماعي، السياسي، الديني، الاقتصادي).

أما الفصل الثاني فجاء موسوماً بتجليات الاغتراب في الرواية، فاندرجت تحته ثلاثة عناصر، حيث اهتم العنصر الأول بدراسة الاغتراب النفسي من خلال الانفصال عن الذات، أما العنصر الثاني، فقد تناول الاغتراب السياسي المتمثل في إقصاء وتهميش المثقف، كما اختص العنصر الثالث بالاغتراب المكاني حيث جاء فيه ذكر الأماكن التي تم فيها اغتراب الشخصية دون جدوى من وجودها فيها.

وللإجابة عن هذه التساؤلات السابقة اعتمدت على المنهج النفسي لدراسة وتحليل انعكاسات ظاهرة الاغتراب على نفسية شخصيات الرواية، كما استعنت بالمنهج التاريخي باعتباره المنهج الأمثل لتتبع هذه الظاهرة تاريخيا على مر العصور، بالإضافة إلى الارتكاز على آليتي

الوصف والتحليل في وصف الظاهرة كما وردت في الرواية، عن طريق تقديم نماذج ومقتطفات وتحليلها باعتبارهما الأنسب مع هذا النوع من الدراسات.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدت على أهم الدراسات التي تناولت إشكالية هذا الموضوع، التي ساعدتنا في تجميع هذا الكم الهائل من المعلومات لإفادتنا في هذا المجال، من بينها رواية "خرائط لشهوة الليل" لبشير مفتي كمصدر، وبعض المراجع أهمها ما قدمه كتاب أحمد علي الفلاحي "الاغتراب في القرن السابع للهجري"، وكذا دراسة يحي عبد الله في كتابه "الاغتراب (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية)"، كذلك ما قدمه حليم بركات في كتابه "الاغتراب في الثقافة العربية"، بالإضافة إلى دراسة عمر بوقرورة في كتابه "الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث"، وكذا رمضان حينوني في كتابه "الاغتراب في شعر محمد الماغوط" إضافة إلى دراسة فيصل عباس في كتابه "الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي)"، وقد كان لهذه المراجع الفضل الأكبر لإنجاز هذه الدراسة.

أما عن الصعوبات التي اعترضت سبيل هذا البحث، فتتمثل في غموض الموضوع وتشعبه من كل الجوانب ليضاف إلى ذلك نقص الدراسات فيه من الجانب السردي والتطبيقات الروائية، إلاّ أن هذه الصعوبات تم تذليلها ببذل مجهود كبير واتباع توجيهات الأستاذة المشرفة.

وختاماً لما قد سبق، نتقدم بخالص الشكر والعرفان مع فائق التقدير والاحترام للأستاذة المشرفة الدكتورة "جوادي هنية" التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث والإرشاد لسبل إنجازه طيلة مجرياته، كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد، ونتمنى أن نكون قد وفقنا ولو بالقدر القليل في إنجازه بالصورة الأكاديمية والعلمية المشرِّفة.

الفصل الأول

الاغتـــــراب "المفهوم والأنماط"

1/ مفهوم الاغتراب

1-1 لغة:

1-1-1 في اللغة العربية

1-1-2 في اللغة الأجنبية

1-2 اصطلاحا:

1-2-1- في الفكر العربي

1-2-2- في الفكر الغربي

2/ أنماط الاغتراب

2-1 الاغتراب الذاتي-النفسي

2-2 الاغتراب الاجتماعي

2-3 الاغتراب السياسي

2-4 الاغتراب الديني

2-5 الاغتراب الاقتصادي

تمهيد:

للوصول إلى معنى ملاءم للفظة الاغتراب وتتبع مفهومها الدلالي يتحتم علينا تقصي معانيها المختلفة، حيث لا يتأتى لنا ذلك إلا بالعودة إلى الكثير من المعاجم والقواميس سواء في اللغة العربية أو في اللغات الأجنبية.

1-مفهوم الاغتراب (Aliénation):

بحكم أن ظاهرة الاغتراب شغلت الجانب الأكبر من اهتمامات الأدباء، والمفكرين، والفلاسفة، والأنثروبولوجيين، والفنانين، وتعددت معانيه، وتشعبت بمرور الزمن، غير أنه ظل مصطلحا غامضا، ومبهما «إذ نجده قد زاحم المصطلحات في كتب النقد، والأدب، وعلم النفس، والتحليل الاجتماعي، واللاهوت، وظهر موضوعا أساسيا في كثير من الأعمال، فهو ظاهرة إنسانية وجدت نفسها في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وفي أغلب الثقافات التي بناها الإنسان، وقد تعددت معاني الاغتراب بمرور الزمن، إذ لابد لكل مصطلح أن ينشأ بسيطا بدلالته، إلا أنه يأخذ ماديات أوسع بتطور الزمن، وتعدد معانيه »[1].

ومصطلح الاغتراب مصطلح متنوع في كل المجالات، فهو موضوع أساس يعيشه الإنسان يتميز بالتغيرات السياسية، والاقتصادية والثقافية، فهو متعدد الدلالات زمنيا، حيث أن كل معنى دلالي له يجب أن يبدأ، وفي غاية البساطة، ومن أجل الوصول إلى معنى مناسب للفظة الاغتراب، يستوجب علينا تتبع معانيه المختلفة، وذلك بالرجوع إلى المعاجم، والقواميس.

1-1 لغـــــة:

1-1-1 في اللغة العربية:

جاء في **لسان العرب لابن منظور** أن "غرب" تعني: «الحركة الدائمة، والغرْبُ الذهاب، والتنحي عن الناس، وقد غَرَبَ عَنَّا يَغْرُبُ غَرْباً ، وغَرَّبَ، وأَغْرَبَ، وغَرَّبَه وأَغْرَبَه نَحَّاه، وفي الحديث:

(1) أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع للهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء، عمان-الأردن، ط1، 2013م، ص11.

أن النبي (صلى الله عليه وسلم) (أَمَرَ بتَغْرِيبِ الزاني سنةً إذا لم يُحْصَنْ، وهو نَفْيُهُ عن بلده) أي نفيه من البلد الذي حصلت فيه خيانة.

والغربة، والغرب النوى، والبعد، وقد تغرب، قال "**ساعدة بن جوية**" يصف سحابة:

ثم انتهى بصري وأصبح جالسا منه لنجد، طائف مغترب

والتغريبُ النفي عن البلد، وَغَرَبَ أي بَعُدَ، والتغريبُ: النفي عن البلد الذي وَقَعَتِ الجناية فيه، يقال: أَغْرَبْتُهُ وغَرَّبْتُهُ إذا نَحَّيْتُهُ وأَبْعَدْتَهُ.

وَالغُرْبة والغُرْب النزوح عن الوَطَنِ وغريبٌ: بعيد عن وَطَنِهِ اغْتَرَبَ الرجلُ: نَكَحَ في الغَرائبِ، وتَزَوَّجَ إلى غير أقاربه»[1].

وجاء في **المعجم المحيط** أن: (الغربة) «النزوح عن الوطن، والاغتراب، والتغرب وغَرَبَ غَابَ، كَغَرَّبَ، وبعُد واغْتَرَبَ: تزوج في غير الأقارب والغَرْبْ، هو المغْرِبُ، والذَّهَابُ، وكَذَا التنحي، وأَوَّلُ الشَّيء وَحَدَّهُ»[2].

وورد في **معجم مقاييس اللغة** أن «الغَرْبُ هو حَدُّ الشّيء، ويقال هذا غَرْبُ السيف، والغُرْبَةُ البعد عن الوطن يقال غُرْبَةُ الدار، ومن هذا غروب الشَّمْسِ كأنه بُعْدُهَا عن وجه الأرض، وشَأْوٌ ومُغَرَّبٌ أي بعيد»[3]

وجاء أيضا في كتاب **العين للخليل بن أحمد الفراهيدي** ت (175) أنّ «الغربة الاغتراب من الوطن، وغرب فلان عنّا يغرب غربا أي تنحى، وأغربته، وغربته أي نحيته، والغربة: النوى البعيد، يقال: شقت بهم غربة النوى، وأغرب القوم: انتووا»[4]

و«الغربة والاغتراب تعني البعد والنوى والابتعاد عن الآخر، وتعني كذلك النزوح عن الوطن أي الخروج من الوطن، والذهاب إلى وطن آخر، وفي شعر "**المتلمس**":

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة غرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997م، ص638-639.

(2) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص206.

(3) مشقوق هنية، الاغتراب في الرواية النسوية الجزائرية، رسالة دكتوراه (مخطوط)، اشراف الأستاذ صالح مفقودة، تخصص سرديات عربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، 2017م، ص11.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، (ت ج) عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص271.

ألا أبلغا أفناء سعد بن مالك رسالة من قد صار في الغرب جانبه[1]

يتبين لنا من خلال المعاجم السابقة، أنّ لفظة **"الاغتراب"** وردت غير بعيدة عن المعاني التي تطرقنا إليها سابقا في معنى بعد، والنأي، والنزوح والغربية الاجتماعية المتمثلة في الابتعاد عن الزواج بالأقارب.

1-1-2 في اللغة الأجنبية:

إن مقابل كلمة اغتراب في اللغة العربية، هو نفسه في الكلمة الإنجليزية (Alienation)، وكذلك الكلمة الفرنسية (Aliénation)، وفي الكلمة الألمانية (Entfremdung) حيث تعود أصول كل كلمة من الكلمة الفرنسية والانجليزية اللتين تدلان على الاغتراب إلى الكلمة اللاتينية (Aliénation) وهي اسم يستمد معناه من الفعل اللاتيني (Alienare) بمعنى: ينقل أو يحول ملكية شيء إلى شيء آخر، ويعني الابتعاد والتسليم وهذا الفعل بدوره مأخوذ من كلمة (Alienus) والتي تعني الانتماء إلى آخر، وهذه الأخيرة مشتقة من (Aluis) بمعنى آخر.[2]

وقد تجسدت في اللغة الإنجليزية المتداولة في العصور الوسطى «حيث كانت تفيد قيام شخص ما باختيار، أو تغريب، أو تجييز شيء يمتلكه كالأراضي، والمنازل إلى الغير»[3] وبما أنها تأخذ منحى أو معنى الاضطراب العقلي حيث أن لفظ (Aliene) يعني الإنسان المختل الذي فقد القدرة على إدراك ماهيته.

«فما دام الشخص مختل عقليا فهو مغترب عن ذاته، وعن العالم الخارجي»[4]

وكما أن أحد استخدامات هذه الكلمة يرتبط أيما يتعلق بالملكية، أي نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر، وهذا المعنى اللغوي يرد في معجم (Quillet) اللغة الفرنسية «اغترب واستلب بمعنى التنازل عن الملكية»[5]

وفي اللغة الألمانية جاءت لفظة الاغتراب بمعنى «النقل بواسطة السطو، والسلب، والأخذ عنوة»[6]

(1) يحي الجبروتي، الحنين والغربة في الشعر (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي، عمان الأردن، ط1، 2008م، ص17.

(2) ينظر: عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر (د ط)، 2003م، ص23.

(3) سالم بيطار، اغتراب الإنسان وحريته، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، طرابلس، (د ط)، 2003م، ص26.

(4) إبراهيم محمود، حول الاغتراب الكفكاوي، "رواية (المسخ) أنموذجا"، عالم الفكر، م 15، ع2، 1984م، ص80.

(5) سهير عبد السلام، مفهوم الاغتراب عند مربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطية، مصر، (د ط)، 2003م، ص27.

(6) ريتشارد شاخت، الاغتراب، (تر) كامل يوسف حنين، المؤسسة العبرية للدراسات، بيروت، ط1، 1980م، ص64.

وكما أن كلمة الاغتراب ترتبط « بالغربة (Entfremung) وهذا الاصطلاح يعني التغريب (Vertremdung) أو السطو أو السلب، وهو يضع اللفظ الألماني (Fremd) مقابل اللفظ اللاتيني (Alienus)، واللفظ الانجليزي (Alièn) حيث يعني الانتماء إلى الآخر، والتعلق به»[1]

هناك علاقة وطيدة بين لفظة الاغتراب، والغربة، حيث تعني هذه الأخيرة معنى الأخذ لملكية شيء ما إلى آخر بالقوة أو التسلط.

1-2 اصطلاحا:

الاغتراب ظاهرة إنسانية موجودة في الحياة الاجتماعية غير أنه من الموضوعات التي عولج الحديث عنها كثيرا عند كل من الغرب، والعرب، وغيرهم من البشر، ولكن قبل شروعنا في توضيح ثغرات هذه الظاهرة يتبين لنا أن هناك فرق اصطلاحي بين لفظتي الغربة، والاغتراب، فالرغبة تعني النزوح عن الوطن، والانتقال من مكان إلى آخر مثلما تطرقنا إليه سابقا، والسبب يعود إلى البحث عن العيش الكريم، والحياة الرغيدة، وتعني كذلك الهجرة من بلد إلى آخر كما استخدمها "**يحي عبد الله**" « تعني الابتعاد عن الوطن »[2]

وهي تعني اغتراب الإنسان من مكان إلى آخر، أي ابتعاده عن بلد إلى آخر قصد نيله للماديات، ومن أجل العيش الكريم.

أما الاغتراب فلا يقف عند الابتعاد عن الوطن، والانفصال عنه بل هناك مشكلات تواجه الفرد في واقعه المعاش بين أهله، وأبناء وطنه فذاك أقصى اغتراب عن حالة انعدام التوازن في علاقة الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه وهذا ما ذهب إليه الباحث "**رمضان حينوني**" في قوله:

«هو حالة انعدام التوازن في علاقة الذات بالوسط الذي تعيش فيه، بحيث يصبح الفرد غريبا عن محيطه غير قادر على مسايرته، إما لأنه يرى الخلل في نفسه، وإما لأنه يراه في المحيط ذاته» [3]

فالمغترب عن وطنه، إذا فقد أحبابه، وذويه ساءت معيشته، فهانت عليه الدنيا لأن الوطن الذي يعيش فيه، وهو موطن النشأة، فإذا وجد الإنسان نفسه غير متوازن في علاقته مع المجتمع

(1) ريتشارد شاخت، الاغتراب، ص63.

(2) يحي عبد الله، الاغتراب: (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص23.

(3) رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص22.

الذي يعيش فيه فحتما، وبدون منازع سيعيش حالة من الاغتراب سواء كان هذا الاغتراب خلق من طرف الذات أو من خلال الوسط الذي تعيش فيه تلك الذات.

وكما يشير شيخ الإسلام **"الهروي الأنصاري"** في تعريفه لظاهرة الاغتراب في قوله بأنه: «أمر يشار به إلى الانفراد على الأكفاء» [1]

ويعني هذا أن الإنسان «المنفرد على غير أبناء جنسه يحس نفسه غريبا، ومغتربا بينهم في نفس الوقت وتأتي الغربة على أنواع ثلاثة لاغتراب الفرد» وهي:

1/غربة الأجسام: ومعناه ابتعاد جسم الإنسان عن وطنه، وأهله محبة أو كرها، وهي مشتركة، ومترابطة بين كافة الناس.

2/غربة الأفعال: بمعنى غربة أهل الدين المصلون بين أهل السوء المفسدين الخارجين عن الدين الإسلامي في الدنيا، وغربة المخلصين الصادقين بين أهل، وأصحاب المنافقين، وغربة أهل العلم، والمعرفة بين أهل الجهل الذين لا علم لهم.

3/غربة الهمة: وتعني الغربة الباطنية لغير ظاهرة والتي يختص بها أهل التصوف، (وكذلك أصحاب المعارف الذوقية الملهمة) [2]

ومما سبق نجد أن كلمة اغتراب تدل في الاصطلاح على ثلاثة عناصر، التي أشار إليها شيخنا **"الهروي"** في اغتراب الإنسان داخل مجتمعه، وهي كالآتي:

أولا: تنحي الفرد عن بلده، **ثانيا:** غربة أهل الصلاح بين أهل الفساد في الدين، وغربة المتعلم بين الجاهل، **ثالثا:** الغربة العميقة الغير بارزة بالنسبة للمتصوفة، وأهل المعارف الذوقية.

ونوضح هذه الظاهرة لكل من الفكر، والفكر الغربي، وذلك بحسب مجال الدراسة في معانيه المتنوعة.

(1) فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط1، ص33.

(2) ينظر، هنية مشقوق، الاغتراب في الرواية النسوية الجزائرية، ص20.

1-2-1 الاغتراب في الفكر العربي:

إن موضوع الاغتراب من المواضيع المهمة التي عبر عنها العرب، وقد أعطوا لهذا المفهوم تعريفات، ودلالات متنوعة، ومن هؤلاء العرب نجد المسلمين الذين تحدثوا عنه في الدين الإسلامي، والقرآن الكريم نذكر منهم **"فتح الله خليف"**، و **"رجال الصوفية" "أبو حيان التوحيدي"**، و**"ابن قيم الجوزية"**، وغيرهم، ولا ننسى الشعراء في العصر الجاهلي، وشعر الصعاليك الذي كان لهم كلام في ذلك تنوعت مشاربهم فيه.

لقد عبّر القرآن الكريم عن موضوع الاغتراب إذ حملت آيات من الذكر الحكيم معنى الاغتراب، «كاغتراب الإنسان عن الله، واغتراب الإنسان عن الإنسان، فخروج آدم من الجنة، وهبوطه إلى الأرض كان أول اغتراب في البشرية جمعاء، فكان أول اغتراب له، ومحنة الإنسان من الشيطان كان اغترابا آخر»[1].

فالإنسان اغترب عن ربه عندما عصاه، فخرج من نعيم الجنة، واغترب في أرض موحشة، ومن كرم الله تعالى أن كان هذا الاغتراب في حدود المكان، حيث أنه قبل توبة "**آدم** " عليه السلام بعدما عصاه، وبعد أن كادت مشاعر اليأس، والحزن، والخوف، والقلق، والألم تستولي عليه، في قوله تعالى:﴿ **فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾(*).

وهنا خفت مشاعر الغربة، والاغتراب لأن الإنسان المسلم كلما اقترب من الله عز وجل ازداد إيمانه، وتمسكه به، واطمئن قلبه، وذلك مصداقا لقوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (**)، فالمؤمن الذي يؤمن بالله، الخاشع، تارك المعاصي، ومؤدي الصلاة في وقتها...الخ، فهنا يكون قلب المسلم مطمئنا من جميع النواحي بذكر الجليل الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.

إن مفهوم الاغتراب في الدين الإسلامي على حسب قول **"فتح الله خليف"** هو:

---

(1) عادل الألوسي، الاغتراب والعبقرية، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط1، 2003م، ص03.

(*) سورة البقرة، الآية 37.

(**) سورة الرعد، الآية 28.

«اغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة، واغتراب عن النظام الاجتماعي غير العادل، فالغرباء قاوموا الحياة ومغرياتها بطريقة ايجابية سلبية، فقهروا السلطتين جميعا، سلطة الحكام، وسلطة النفس لترويضها عن الطاعات، والمجاهدات واعتزالهم الناس. فحل النظام الروحي الداخلي يشيع في النفوس الشعور بالأمن والأمان، محل النظام السياسي الخارجي الذي أدخل الرعب، والخوف في قلوب المسلمين بعد أن تفشت بينهم فتنة الشهوات وفتنة الشبهات»[1].

فالاغتراب بالمعنى الإسلامي، هو ابتعاد المؤمن عن مظاهر الحياة الزائفة التي لا تتحلى بأخلاق فاضلة، ومعاملات حسنة المتمثلة في صيانة المؤمن لنفسه من فتنة الشهوات المنبوذة، والشبهات غير الأخلاقية، حتى يقهر سلطة الحكام المستبدين، ويهزم النفس المرتبكة للسيئات في حق الله عز وجل لأن اغتراب الدين فساد في العقيدة الإسلامية، فإذا ابتعد المسلم عن الناس، فإنه سيشعر حتما بالأمن النفسي الذي يكسبه (طمأنينة روحية).

ولعل أبرز ملمحا تتضح به الرؤية، الأمر الذي ظهر في الإسلام في قوله (صلى الله عليه وسلم) عن اغتراب هذا الدين «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبي للغرباء»[2].

لقد وصف الإسلام على أنه بدايته غريب حيث كان المسلمون الأوائل غرباء بين أهلهم يتحلون بالصبر، والإيمان على تحمل الأذى فعاد الإسلام غريبا كما بدا فطوبي للغرباء، حيث كثرت العقائد، والمذاهب التي ولّدت زهدا دعا إلى اعتزال الناس الذين تركوا وشهواتها، وملذاتها ففارقوا الناس، وصاروا غرباء هروبا من جميع ما يشغل الإنسان عن ربه الذي خلقه لعبادته.

أما عن "**الفكر الصوفي**"، فتجاوز المفهوم الجغرافي إلى المفهوم النفسي لفئة مؤمنة صالحة متصلة بالله لأنهم «فئة من أهل الصلاح والتقوى رغم أنهم بعيدون عن الناس، فهم في أنس متصل لقربهم من الله، وقد انتهى بهم الاغتراب إلى الفناء في الله»[3]

(1) فتح الله خليف، الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، مج 10، ع1، 1979م، ص88.

(2) رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، ص25.

(3) فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، ص35.

فالمتصوفة فئة اعتزلت الحياة، والناس، وحاولوا الاتصال بالله فقط دون الإنسان، فهم مستغرقون في حب الذات الإلهية، والفناء فيها للوصول إلى الأعظم، وهو العشق الإلهي، ومن رجال المتصوفة نذكر **"ابن عربي"**، **"ابن باجة"**، **"ابن قيم الجوزية"**، و**"أبو حيان التوحيدي"** في تناولهم لمصطلح الاغتراب، حيث كانوا من أشد الناس معاناة لمختلف ضروب هذا المفهوم، والعزلة في حياتهم، غير أنهم غاصوا في أعماقه، لذلك راح كل واحد منهم يدلو بدلوه ليعطيه مفهوما خاصا حسب تصوره **"فأبو حيان التوحيدي 414 – 310هـ / 922 – 1023 م"** الذي كان في **"الإشارات الإلهية"** « واحدا من أهم المفكرين الذين عنوا بهذه الظاهرة فقد جمع مختلف أوجه الغربة، والاغتراب في تعريفات لطيفة فقال معلقا على أبيات في الغربة: "هذا وصف غريب نأى عن وطن بني بالماء والطين، وبعد عن آلاف له عهدهم الخشونة، واللين ولعله عاقرهم الكأس بين العذراء والرياض، واجتلى بعينه محاسن الحدق المراض، ثم كان عاقبة ذلك كله إلى الذهاب، والانقراض"» [1]

يتضح من خلال حديث **"التوحيدي"**، أنه لم يكن راضيا بواقعه المعاش الصادر من تجربته الحياتية، التي تتصف بالغربة، والابتعاد عن الوطن الذي تسوده الخشونة، والقساوة إلى الهروب، والابتعاد من هذا الواقع.

ويقول أيضا في موضع آخر الذي ورد فيه معنى الغربة ببعديها المادي، والمعنوي حيث قال: «وأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه، وقل حظه ونصيبه من حبيبته وسكنه؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان؟» [2]

ويتبن من خلال قول **"التوحيدي"** أنه قد أعطى معنا آخر للغربة، حيث كان يتساءل عن شخص كان مغتربا في وطن لمدة طويلة لا قيمة له في ذلك الوطن، وكان يتساءل أين هو من غريب لا مكان له في الأوطان الأخرى ولا يمتلك القدرة على مواجهة هذه الأوطان قصد الاستيطان.

(1) رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، ص31.

(2) أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية،(تج): عبد الرحمان بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1950م، ص79، نقلا عن عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث1945م-1962م، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، (د ط)، 1997م، ص16.

ونجد في موضح آخر "**ابن عربي 1240هـ**" الذي يعتبر الاغتراب بالنسبة له شعور بغربة الكون حيث يقول:

« إن أول غربة اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا، غربتنا عن وطن القبظة عند الإشهار بالربوبية الله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام، وطننا فاغتربنا عنها بالولادة »[1] يرى "**ابن عربي**" أن وجودنا في هذا الكون ليس هو الأصل في البقاء، بل وطننا الأهم الرجوع إلى النفس الإلهية، تلك هي دار البقاء، والحق، والخلود بوصفها الوجود الحقيقي، والمثالي.

وكما نجد "**ابن باجة**" في رسائله الإلهية يتحدث عن "**الثوابت**" يقول:

« لأنهم، وإن كانوا في أوطانهم، وبين أترابهم، وجيرانهم، غرباء في آرائهم قد سافروا بأفكارهم إلى مراتب أخر هي لهم كالأوطان »[2] تتضح لنا آراء "**ابن باجة**" في رسائله الإلهية حول الاغتراب من الوجهة الفلسفية حيث يقول عن ثوابت في مفهوم المتصوفة المتوحدين بأنهم الغرباء حتى، ولو كانوا في أوطانهم الحقيقة التي نشئوا فيها، وترعرعوا، وبين أهاليهم والمقربين إليهم، فبأي طريقة هم غرباء، وتفكيرهم العقلي يسافر بهم إلى أماكن أخرى بعيدة لا حدود لها، تجعلهم بذلك غرباء في آرائهم أيضا.

ولقد انطلق "**ابن القيم 291هـ –751هـ**" في شرحه لمفهوم الغربة في قوله أن الغربة ثلاثة أنواع هي:« غربة أهل الله، وأهل سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بين هذا الخلق، وهي غربة مدحها الحديث الشريف، ثم غربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل، وأخيرا غربة مشتركة لا تحمد، ولا تذم، وهي الغربة عن الوطن»[3] ذهب "**ابن القيم**" في شرحه لمفهوم الغربة على أنها تقوم على ثلاث أنواع أولا غربة ممدوحه من طرف الحديث الشريف، والغربة الثانية غربة منبوذة من أهل الباطل، والغربة الثالثة غربة الوطن مجتمعة بين المدح، والذم، وتعني الغربة عند "**ابن القيم**" معنى الذهاب، والتنحي عن الناس، والابتعاد عنهم، فهو معنى لا يخرج عن التفسير الديني لهذه الظاهرة.

وكما نجد كذلك "**ابن طفيل 1185هـ**" يجسد اغتراب الإنسان في قصته "**حي بن يقضان**" وانحلال، وذوبان هذه الغربة بالطبيعة، وما فيها من كائنات حية فيصور «تخطيه هذه الغربة ليلتحم

(1) محي الدين ابن عربي، الفتوحات الملكية، دار الفكر، مج2، (د ت)، ص528.

(2) رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، ص32.

(3) حمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع للهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، ص20.

بالطبيعة فتكون الطبيعة وما فيها من حيوان ونبات أهلا له، حتى يتطور وتنمو مداركه ويصل إلى الكلام، ومن ثمة يسمو إلى الحقيقة التي أولها معرفة الله»[1] يصور لنا **"ابن طفيل"** في اغتراب الإنسان، بالنسبة لما جاء في قصته **"حي بن يقضان"** المشوقة أن الغربة بالنسبة إليه تتصل بالطبيعة، وما فيها من كائنات حية حتى يتطور فكره، وينمو، ويكبر تدريجيا، فيصل بعد ذلك إلى لغة الكلام، ومنه يعلو إلى معرفة الحقيقة الوجودية للكائنات التي أولها، وآخرها إدراك، ومعرفة خالق، وسيد هذا الكون الله سبحانه، وتعالى.

كما نرى من زاوية أخرى بالنسبة للقدماء العرب في تنظيرهم الفلسفي للاغتراب الذين كانوا من أهل الحرب، والنزاع والحنين إلى أوطانهم، فأنجزوا أعمالا قيمة من كتب، ورسائل، فهذا **"الجاحظ"** الذي كتب (**الحنين إلى الأوطان**) يتحدث فيه عن الغربة، وأبعادها النفسية، وأشعار، وأخبار العربي ذلك في قوله الذي أورده من أقوال العرب: «وكان يقال: أرض الرجل ظئره وداره مهده، والغريب النائي عن بلده المتنحي عن أهله كالثور الناد عن وطنه، الذي هو لكل رام قنيصة...وقال آخر: الحالي عن مسقط رأسه ومحل رضاعه كالعير الناشط عن بلده الذي هو لكل سبع قنيصة، ولكل رام رديئة»[2] إن من يلطف النظر يجد **"الجاحظ 868م"** أن الإنسان الذي ترعرع، ونشأ في أرضه، فهي بمثابة داره التي كبر فيها، والغريب البعيد عن وطنه، وأهله، فشبهه بالثور الناد عن وطنه الذي لا أصل، ولا فصل له، وفي قول آخر المغترب في بلد ولد فيه فيشبهه بالعير الناشط، والمبتعد، والمتنحي عن وطنه الذي يتصف بالقنيصة، والرداءة في غير بلده.

أما في الحياة الجاهلية يعتبر الحنين إلى الأوطان في نفوس العرب الحساسة بالنسبة لبيئتهم الصحراوية من خصال الفحل الجاهلي باعتزازه، وكرامته في حنينه إلى وطنه لذلك (قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الأخوان، وقيل: فما الذل: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان) [3]

(1) عادل الألوسي، الاغتراب والعبقرية، ص63.

(2) رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، ص29.

(3) يحي الجبروتي، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص09.

ويتمثل الاغتراب بالنسبة للشعراء في الابتعاد عن أوطانهم دافعا محفزا مشجعا للتعبير عن مشاعرهم، وأحاسيسهم الصادقة اتجاه أسرهم، وأقاربهم، وذويهم قول **"أبو الفرج الأصفهاني 967م "**:

«كنّا نسمع أهل العلم يقولون: فقد الأحبة في الأوطان غربة فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأحبة» (1)

يحدثنا **"أبو الفرج الأصفهاني"** على لسان أهل العلم عندما سمعهم يتحدثون أن الأحبة إذا فقدناهم، وابتعدوا عنا من أوطانهم فتعتبر هذه غربة، والغربة تتمثل في تنحي، وابتعاد الأحبة عن وطنهم الأصلي.

أما **"أبو العلاء المعرّي 1057م"** هو الآخر الذي لم يغفُ عن هذه الظاهرة المتجسدة في الإنسان، فهو لا يبتعد عن سابقيه في تناوله لمفهوم الاغتراب قوله:

هي غربتان: فغربة من عاقل ثم اغتراب من محكم عقله (2)

يرى شاعرنا أن العقل والتفكير كلاهما مرتبطان بالاغتراب، يعني أن المرء إذا عمق تفكيره الوجودي، والكوني فحتما لا محال سينزل إلى منزلة الاغتراب، والإنسان العاقل يحس بغربته، فما بالك من محكم عقله، فإنه لا يصبر عن غربته، وبالتالي، فإنه سيكون عكس الغير عاقل.

و **"أبو الطيب المتنبي 965م"** كذلك شاعر عربي يجد نفسه غريبا بين مجموعة من الأقوام لا هم أهله، ولا هم عشيرته، ونرى ذلك من خلال شعره كقوله: (3)

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمـــان

ولكن الفتى العـربيّ فـــيها غريب الوجه واليد واللسان

(نلتمس من خلال قراءتنا لشعر المتنبي أن شعوره بالوحدة، والانفصال عن الآخرين، سلوكيا في أفعاله، وأقواله فجسد المعاناة القاسية في قصائده ومديحه بأنه إنسان كثير الترحال من مكان

(1) ناهد الشعراوي، الاغتراب والحنين في شعر مالك بن الريب التميمي، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، (د ط)، 2011م، ص23.

(2) ينظر، رمضان حينوني الاغتراب في شعر محمد الماغوط، ص33.

(3) ذياب قديد، المتنبي: بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط1، 2011م، ص30.

لآخر، وهذا ما انعكس سلبا عليه، فأصبح متضجرا متحسرا، فكان يحنُّ دائما إلى موطنه الكوفة، فهو آنذاك كان يحس أنه غريب دائما بين أناس لا يمثلون له شيء من حيث المولد، والنسب) [1]

(وفي العصر العباسي الشعور بالاغتراب خصوصا في الفترة الأخيرة من الخلافة العباسية حيث تدهورت الأوضاع، وساءت الحالة السياسية، والاجتماعية، وأبو نواس لطالما عبّر في شعره عن اتساع الهوة بينه، وبين مجتمعه، وحين كانت تطول معاناته، وعاداته الروحية، يعلن بكل صراحة تبرأه من زمانه المسخ) [2]. حيث يقول:

هذا زمان القرود فاخضع وكن لهم سامعا مطيعا[3]

يمثل هذا المنطق مواجهة "**أبو نواس**" مجتمعه وساسة عصره معبرا عن عمق في اغترابه، ووعيه بمأساته كإنسان يعيش خارج عصره، وزمنه حيث كان يعاني مرارة الاغتراب بينه، وبين مجتمعه، والذي تبرأ من زمانه المشئوم، أما الشعراء الصعاليك فقد كان لهم كلام في ذلك حيث كانوا يعيشون مرارة الغربة والاغتراب، ومن الصعاليك نجد " **عبيد بن أيوب العنبري**" الذي كان يعاني ويلات غربته فأشعر في ذلك قوله: [4]

أذقني طعم الأمن أو ســـل حقيقة عليَّ، فإن قامت ففصل بنانيا

خلعت فؤادي فاستُطير فأصبحت ترامى به البيـــد القفار ترامـيا

كأنــني وآجالي الضبــاء بقفـــرة لنا نسب ترعاه أصبح دانيـا

(1) ينظر، ذياب قديد، المتنبي: بين الاغتراب والثورة، ص 30.

(2) أحلام الزعيم، أبو نواس بين البعث (الاغتراب والتمرد)، دار العودة، بيروت، 1981م، ص69.نقلا عن ذياب قديد، المثنيين: بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2011م، ص30.

(3) أبو نواس، الديوان، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ص519.نقلا عن ذياب قديد، المثنيين: بين الاغتراب والثورة، ص28.

(4) يحي الجبروتي، الحنين والغربة في الشعر، الحنين إلى الأوطان، ص41.

"عبيد" شاعر عاش حياته في اغتراب كان يتخلله الخوف، والفزع في نفسه أن يصاب بالأذى، والغدر، فهو يبحث عن الأمن، والأمان فكان يعوض وحشة الصحراء، والأمن، والأهل بالحيوان البري.

(الهوية الوطنية طريق مملوء بالبؤس، والشؤوم، وبإمكاننا أن نرى أو نقرأ ذلك في شعر محمد الصالح باوية الذي أراد العودة إلى عالم الداخل ليسأل عن الضياع، والغربة فالكل ضائع في وطن لا يتخلله الفقر والاستبداد من طرف ساسة لا يبالون بالشعر، ولا يرحمون، وفي قوله:

إني هنا

أجتر ذاتي وندائي ينزف

مازلت خيطا مخلصا للعنكبوت

مازلت عينا ترقب الدولاب ليلا في صموت

إن هذا الاغتراب فكري في لحظة إحساس الشاعر بالجمود الذي مسّ وطنه، وطبيعة الغربة عند **"باوية"** هي فكرة الحلم بالحرية، والتخلص من القيد، ويوضح قوله: "مازلت خيطا مخلصا للعنكبوت" فهذه صورة تعبر عن الصمت والسكوت الذي لحق أبناء وطنه في هذه الفترة) [1]

يعتبر مصطلح الاغتراب في الفكر العربي والإسلامي ظاهرة مليئة بالغموض، والإبهام لذا تعددت، وتنوعت مشارب وآراء كل من رجال الدين، والشعراء، وغيرهم الذين أحسوا بالاغتراب في أوطانهم فجاء اغترابهم عن طريق الحنين للأهل، والأوطان، والأحباب أما عن المفكرين، رجال المتصوفة الذين اعتزلوا الحياة، والناس، فكانوا متّصلين بالله، فوجدوا راحتهم في حب الذات الإلهية إلى غير ذلك مما جاء في العصر العباسي من شعراء عانوا الأمرين في مجتمعهم فجاءت غربتهم روحية وفكرية، هكذا عرف العرب مصطلح الاغتراب بمفاهيم مختلفة.

(1) ينظر، عمر بقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث 1945م-1962م، منشورات جامعة باتنة، الجزائر،(دط)، 1997م، ص61-62.

1-2-2 الاغتراب في الفكر الغربي:

أولى الدارسون أهمية كبيرة لمصطلح الاغتراب، وذلك لتنوع مجالاته حيث انتهج كثير من العلماء، والباحثين تعريفات عدة لهذا المفهوم، حيث أن لكل واحد منهم مذهبه الخاص كما أحدثوا ضجة من الجدل حول المصطلح الذي ورد في الكتابات الفلسفية، واللاهوتية القديمة، حيث ترجع جذوره إلى (الفلسفات التي تناولت الاغتراب في شكل نظريات لها وزنها في عالم الفكر كثيرة، ويمكن تقسيمه إلى فلسفات دينية والتي عبرت عنها الكتب السماوية والكتب المستمدة إليها، وفلسفات عقلية خصصت للاغتراب حديثا مستفيضا) (1)

(إنّ إذا تتبعنا مصطلح الاغتراب على المستوى الفلسفي، فنجده في التيارات الفكرية ميدانا فسيحا فتختلف آراء العلماء والفلاسفة باختلاف الرؤى والفلسفات، وسنتطرق بالإشارة إلى هذا المصطلح عند كل من **"هيجل"** و **"سارتر"** و **"فيورباخ"** وغيرهم من الفلاسفة الذين قدموا آراء بأبعاد، وصيغ مختلفة، غير أنها تتبنى أسس ممنهجة وعملية في نفس الوقت) (2)

من الممكن (أن يكون أول من أعطى، أو قدّم تعريفا للاغتراب في العصور الأولى **"جان جاك روسو** (J.J.Rousseau)" في كتابه العقد الاجتماعي إذ قال « أن تغترب يعني أن تعطي أو أن تبيع، فالإنسان الذي يصبح عبد آخر لا يعطي ذاته، وإنما يبيع ذاته على الأقل من أجل بقاء حياته، أما الشعب فمن أجل ماذا يبيع ذاته » وقد استعمل روسو مصطلح الاغتراب في كتابه هذا الاصطلاحيين الفرنسيين في مقابل مصطلح (Alienare) الذي يعني جعل الشيء ملكا لشخص آخر، والأخذ، والنقل، ومصطلح (Drivest) في الإنجليزية الذي يعني التجريد، والتخلي) (3)

وقد عرّف **"هيجل"** (**Hegel**) الاغتراب على أنه «حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان الذي يفقد سيطرته على مخلوقاته، ومنتجاته، وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمه، وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته» (4)

(1) رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، ص25.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص27.

(3) ينظر، ذياب قدير، المتنبي بين الاغتراب والثورة، ص41.

(4) ولد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي (في الوسط الطلابي)، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص38.

ويبين هيجل من خلال تعريفه لظاهرة الاغتراب أن استقلاليته، وذاتيته تنزع كل أموره الشخصية من بين يديه، وتنتقل إلى شخص آخر غيره فتتسع الهوة بينه، وبين ذاته، وبينه، وبين تحقيق طموحاته (وما يتميز "**هيجل**" عن بقية الفلاسفة الآخرين باعتباره أن ظاهرة الاغتراب قابلة للدراسة، والتحليل، إذ تحول معه الموضوع إلى فكرة مركزية، ففي الفلسفات السابقة، فلم يكن إلا مجرد موضوع ثانوي، وفي تناوله لظاهرة الاغتراب كان يغلب عنها جانب التجريد فربطها بالفكرة، والذي يعرف عنده بجدلية الوعي (Dialectique de la conscience)، والتي عرض فيها المراحل الثلاثة والتي يمر عبرها وعي الذات في أثناء دورته الديالكتيكية وهي: [1]

1/ الوعي الخالص(Conscience pure) في المنطق

2/ الوعي في الاغتراب عن ذاته في الطبيعة (Conscience Alienee)

3/ الوعي حين يرجع إلى ذاته في فلسفة الروح Conscience sure de soi)

(وهي لحظة تعبيره فيها عن تجاوزه لحالة الاغتراب.

إن كل هذه المفاهيم، والمصطلحات عند "**هيجل** " تجتمع كلها في مكان واحد وهو الفكر (Esprit)

وفكرة أخرى طرحها "**هيجل** "حول ظاهرة الاغتراب في كونه « ثنائي المفهوم إذ يرمي الأولى إلى الانفصال بين المرء وبين طبيعته الجوهرية، فيحدث التنافر مع الذات، بينما الثاني، يرمي إلى التنازل الطوعي عن ذاته، وفرديته لصالح الاندماج في المنظومة الاجتماعية التي تؤدي في النهاية إلى بناء المجتمعات المدنية، وضمان ديمومتها، بوصفها " **نتاجا للروح الإنسانية** " كما يرى شاخت»[2].

يعرّف "**هيجل**" الاغتراب عن مفهومين: الأول يمثل في انقطاع المرء بينه، وبين نفسه، فيحصل التباعد مع الذات الإنسانية، فأما الثاني فيتمثل في التنازل بينه، وبين نفسه وفرديته لأجل متطلبات النظام الاجتماعي لضمان الاستقرار والأمن الاجتماعيين.

(1) ينظر، وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس (دراسة تحليلة نقدية)، مؤسسة كنوز للحكمة، الأبيار، الجزائر،ط1، 2013م، ص15.
(2) رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، ص27.

(إن توظيف مصطلح الاغتراب بهاذين المعنيين أقرب إلى الفلسفة منه إلى الاختصاص العلمي نظرا لأن "**هيجل**" استخدمه في بدايات الاهتمام به كمؤشر للبحث) [1].

ويفسر "**هيجل**" الاغتراب حسب رأيه «إلى حالات الاغتراب التي يعيشها الإنسان في هذا العالم على مستويات مختلفة: كالاغتراب السياسي الذي ينم عن تعارض العلاقة بين الفرد–المواطن (Citoyen) (الإرادة الخاصة)، والدولة (Etat) (الإرادة العامة)، وذلك حيث تتحول هذه الأخيرة إلى كيان مناقض ومعاد للأولى، فتنتهك الحريات والحقوق الفردية»[2].

ويتجلى هذا الاغتراب بحسب "**هيجل**" في انفصال الذات الإنسانية عن الموضوع، وهو العالم الخارجي الذي يصبح مناهضا وغريبا عنها هذا ما يسبب حالات مختلفة من الاغتراب.

يمكن (اغتراب الفكر عند "**هيجل**" في مفهوم الاغتراب عن ذاته، وذلك حين ينشطر هذا الأخير إلى قويتن (الأنا، والموضوع) مستقلتين متعارضتين تخوضان الصراع عبر مسلك جدلية الوعي[3].

أما "**فيورباخ**" (Feverbach) «يعد أحد هؤلاء الفلاسفة الذين أطلق عليهم اسم "**الهيغليين الشباب**"[*] لتشبعهم بأفكار معلمهم "**هيجل**"، وما لبث "**فيورباخ**" في اعتناقه لفلسفة معلمه مدة طويلة حتى انسلخ عنها نهائيا حتى راح محاولا قلب أساسها من خلال فلسفته الجديدة»[4]. حيث (اهتم بمسألة الاغتراب عن المؤسسة الدينية معتبرا أن الإنسان يغترب عن نفسه لأنه يعكس من خلال إيمانه الديني أفضل ما لديه، وفي نفسه من صفات على خارج ذاته، فأصبح يعيد هذا الشيء الذي يتحكم بشخصه، وفي نظر "**فيورباخ**" الذي تتلمذ على "**هيجل**" أن الدين هو نوع من أنواع اغتراب الإنسان عن نفسه أي الاغتراب الذاتي) [5] أعطى "**فيورباخ**" لظاهرة

(1) جديدي زليخة، "الاغتراب"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، ع8،جوان، 2012م، ص348.

(2) وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس (دراسة تحليلية نقدية)، ص20.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص35.

(*) من بين الهيغليين الشباب نذكر (برونوبوير، دفيد شتراوس، كارل ماركس، فيريديك إنجلز...).

(4) ينظر: وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، ص34.

(5) ولد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي، ص38–39.

الاغتراب أهمية كبيرة في الدين، فهو يرى أن الفرد مغترب من طرف ذاته المتمسكة بالدين، فيعطي أحسن ما يملك في نفسه من معاملات حسنة فيعكسها من خلال ذاتيته.

ويضيف **"فيورباخ"** «أن مفهوم طبيعة الله ليس سوى مفهوم جوهر طبيعة الإنسان لقد خلق الإنسان الله بحسب تصوره لجوهره الإنساني، وبهذا أنكر نفسه، ونسب إلى شيء ما أفضل ما في جوهره»[1].

ونستنتج أن مفهوم الاغتراب عند كل من **"هيجل"** و **"فيورباخ"** (نبدأ **"بهيجل"** الذي يرى مفهوم الاغتراب يتلخص في اغتراب الأفكار الإنسانية عن ذواتها حيث تنشطر إلى قوتي (الأنا، والموضوع) اللذين يعتبران أنهما مستقلين متعارضين في طريقهما نحو جدلية الوعي أما **"فيورباخ"** فأغترب الإنسان من جوهر ذاته عن طريق الدين الذي يلغي فيه الإنسان عقله بذاته)[2]

أما **"كارل ماركس"** (Karl Max) (فقد حوّل بعد موت **"هيجل"** (عام 1831م) بسنوات قلائل مفهومه للاغتراب من مفهوم فلسفي إلى مفهوم اجتماعي-اقتصادي فتجاوز المفاهيم المثالية للاغتراب في الفكر الأوروبي، وحلله في سياقه التاريخي، وفي العمل في المجتمعات الرأسمالية، والأوضاع اللاإنسانية ليظهر أن الاغتراب حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية والتي حوّلت العامل إلى كائن عاجز، وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه، ومعادية له، وقد توصل من خلال ذلك في تجسيده لأربعة أمور من هذا الاغتراب:

-اغتراب العامل بمنتجاته.

-اغتراب العامل مع عمله في المجتمعات الرأسمالية.

-اغتراب العامل عن نفسه في المجتمع الرأسمالي.

-اغتراب العامل في علاقته مع الآخر.) [3]

(1) حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص38.

(2) ينظر، وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، ص35.

(3) ينظر حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع)، ص11-12.

ومن هذا المعتقد، فالاغتراب عند **"كارل ماركس"** يعني «أن الإنسان لا يستطيع أن يحقق ذاته كنشاط أخلاق في العالم، بل أن العالم-الطبيعة، والآخرين، وهو نفسه- تصبح مغتربة بالنسبة إليه، إنها تعلوه، وتقف ضده كموضوعات غريبة، على الرغم من أنها تكون من خلقه» [1] وكان الفرد لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فيصبح ضحية مغتربة في علاقاته بالإنتاج المادي، فيعتبر هو الأساس في إنتاج الأشياء، والتي تكون فيما بعد ملكا للآخر الذي يخلق اغترابه النفسي.

وقد استخدم **"ماركس"** مفهوم الاغتراب (استخداما سيكولوجيا يتفق ومفهوم "الروح المعنوية" للعامل، والتي تتأثر بمناخ العمل من أشخاص، وأدوات، ونظم، ذلك الاستخدام قد جاء بعد سنوات فقط من استخدام الاغتراب كمصطلح لاهوتي أو سياسي أو فلسفي فقط) [2]

كما نجد أيضا **"إيميل دوركايم" (Émile Durkheim)** قد ركز في تفسير ظاهرة الاغتراب «على فكرة تفكك القيم، والمعايير الاجتماعية، والثقافية، وفقدانها السيطرة على السلوك الإنساني، وضبطه داخل المجتمعات. فحالة عدم الاستقرار، والاضطراب، والقلق لدى الأفراد الناجمة عن انهيار المعايير، والقيم الاجتماعية أو الافتقار إلى الهدف، والمثل العليا تؤدي إلى التفكك التنظيمي لمؤسسات المجتمع، وانهيار المعايير، والانفصال بين الأهداف الاجتماعية المعلنة، والوسائل الصحيحة لتحقيق هذه الأهداف»[3]

ويفسر **"إيميل دوركايم"** ظاهرة الاغتراب، وليصل بعد ذلك إلى تحليل (أن الأفراد ضمن هذه الوضعية من حالات الاستقرار أو اللاتوازن تؤدي بهم إلى الشعور بالوحدانية، ونكران الذات، وبالتالي الانطواء على النفس، والاعتزال وهو ما يشير إليه بحالة الأنوميا Normlessmess) (Anomie) [4] حلل **"دوركايم"** مفهومه للاغتراب على أنه حالة من الأنوميا التي تؤدي بالفرد إلى الشعور، والإحساس بالعزلة الاجتماعية، فيصبح بعد ذلك فردا منطويا على نفسه لا يحب ذاتيته، فتبدو بذلك كل الأشياء التي من حوله لها نفس القيمة.

يعتبر هذا المفهوم الأنومي الدوركايمي (حالة تدهور المعايير التي تضبط العلاقات الاجتماعية، فتنشأ عن ذلك أزمات حادة بين عدة فئات متنافسة أو متناحرة، ما يهدد الإحساس بأهمية التضحية

(1) فيصل عباس، الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي)، دار المنهل اللبناني، بيروت،لبنان،ط1، 2008م، ص202.

(2) بهجات محمد عبد السميع، الاغتراب لدى المكفوفين، (ظاهرة وعلاج)، دار الوفاء لدنيا مصر، الإسكندرية، ط1، 2007م، ص43.

(3) ولد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي (في الوسط الطلابي)، ص42-43.

(4) المرجع نفسه، ص44.

في سبيل المجموع، إذ تستعمل الفئات القوية، وسائل غير عادلة في فرض إرادتها على الفئات الضعيفة، ما يهدد التماسك الاجتماعي بالوصول حتى إلى درجة التفسخ، والنزاع)[1]

وعلى هذا الأساس أعطى **"دوركايم"** أهمية كبيرة في الربط (بين الوضع الأنومي، والانتحار في محاولة لتحليل أمراض تفسخ المجتمع، بحيث تتعطل القيم، والمعايير التقليدية من دون أن تحل محلها قيم، ومعايير جديدة فعالة، ولقد اهتم بأنواع الانتحار من خلال سياق التطورات الاجتماعية في أوروبا بعد الثورة الصناعية، فهناك مثلا "الانتحار الأنامي" المتولد عن عدم اندماج الفرد في المجتمع، وعدم اعترافه بما هو أعلى من الذات، وأما الانتحار الأنومي الذي يوجد بكثرة في المجتمعات التي تشهد تطورا سريعا شاملا في الحياة الاقتصادية، والثقافية، فتفقد القيم، والمعايير التقليدية قدرتها على ضبط السلوك، والرغبات، وتشخيص **"دوركايم "** لأمراض المجتمعات الحديثة يرى أن انتشار الاغتراب عن المجتمع لا يعود إلى صعوبة سد متطلبات حاجاته) [2]

ويأتي **"فروم" (Sigmund Freud)** هو الآخر الذي قدم مفهوما للاغتراب، والذي غير بعيد عن مفهوم **"ماركس"** (على الموقف المعاصر، ومضى إلى تطبيق هذا المفهوم فيما يتعلق بكافة مجالات الحياة المعاصرة. يعتبر **"فروم"** أن "الذات الأصلية" هي الذات الفريدة التي يتسم صاحبها بأنه شخص مفكر، قادر على الحب، والإبداع وهذه الصفات تؤدي دور الوجود الجوهري الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان. لذلك فإن فقدان أحد هذه الصفات غالبا ما يفضي إلى إحلال "ذات زائفة" محل الذات الأصلية) [3]

وبالتالي يعتبر مفهوم الاغتراب عن الذات لا ينفصل عن الاغتراب في المجتمع المعاصر، أن الشخص المغترب عن الآخرين هو أساسا مغترب عن ذاته إذ إن الإنسان الممتثل، هو إنسان فقد ذاته الأصلية، ويتمثل في الذات المزيفة يرى "فروم" أن الاغتراب ظاهرة نفسية سلب في اغترابه عن

(1) علي عبد الخالق علي، "ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج"، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد7، 1995م، ص44.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص44.

(3) فيصل عباس، الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي)، ص360-361.

الأطراف الأخرى من جنسه، والذي يجعله غريب في عالمه، وعن نفسه، فيحس أن لا قيمة له في الدنيا، قد ضاعت من ذاتيته، وحلت محلها ذات مثالية مزيفة.

وفي تعريف آخر أقرّ به "**فروم**" حول هذه الظاهرة في أنه «يتمثل في شكل من الخبرة يمارسها الإنسان، ويشعر فيها بأنه غريب عن ذاته، ولا يجد نفسه كمركز لعالمه، وكخالق لأفعاله أو إنتاجه، وإنما أفعاله هي التي تصبح لها السيادة، وعليه أن يعطيها، وأن يعبدها أحيانا» (1)

لقد وظف "**فروم**" مفهوم الاغتراب في جميع مجالات الحياة، وحيث بيّن أن الاغتراب ثلاثة أنماط طبيعية هي:

(–انفصال الإنسان عن الطبيعة وسيطرته عليها، الذي يتبنى موقفا فكريا إيجابيا اتجاه الطبيعة.

–الانفصال عن الطبيعة مع ظهور وعي الذات أي ابتعاد الإنسان عن الانغماس في الطبيعة، والتي تصبح نتيجة غريبة عن الإنسان.

–الانفصال عن الطبيعة أي افتقاد القدرة على ربط الذات بها.) (2)

أما النفساني "**فرويد سيجموند**" الذي أسس مدرسة التحليل النفسي (كنظرية لا تتواءم مع غيرها من النظريات أو تلغيها، إنما تضيء كثيرا منها، وتهتم من خلالها بتمثيل الذات، وتجسيدها، وبفاعلية جادة سلوكاتها، وطرق تحويل رغباتها. والتحليل النفسي وُجد ليفسر السلوك الإنساني، ويرجعه إلى عوامله، وأسبابه بالتوسل بنظريات، وصل إليها أصحابها بعد طول نظر، وتأمل، وتجارب على مختلف الحالات المرضية السائدة كأمراض العصاب) (3)

فيرى "**فرويد**" أن الاغتراب يكمن في أنه « حالة نفسية يعاني أصحابها من الشعور بعدم الارتياح، وعدم الاستقرار، والقلق، والشعور بالضياع والعزلة، وعدم الفاعلية، والوحدة والتفاؤل، وهكذا الشعور كثيرا ما يؤدي إلى نتائج نفسية منها تفكك مشاعر الفرد، وإحساسه بعدم أهميته، والفصامية، والذهائية، ومن ثم اختلال الشخصية » (4)

(1) بهجات محمد عبد السميع، الاغتراب لدى المكفوفين (ظاهرة وعلاج)، ص17.

(2) ينظر، مشقوق هنية، الاغتراب في الرواية النسوية الجزائرية، ص27.

(3) سماح بن خروف، الاغتراب في رواية كراف الخطايا–لعبد الله عيسى لحيلح، ماجيستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية والأدب العربي، 2012م، ص32.

(4) سلام علي حمادي الفلاحي، الاغتراب الديني في شعر ابن أبي الحديد، جامعة الأنبار، كلية العلوم الإسلامية، الفلوجة، (د ت)، ص07.

إن كل هذه الحالات النفسية للإنسان تتولد من عدم إشباع الفرد لرغباته، فينتج عن ذلك شعوره بالاغتراب وسط مجتمعه إذ تجعله غريبا بعيدا عن واقعه المعاش، وعن نفسه في آن واحد.

يُرجع **"فرويد"** تعاسة الإنسان إلى ثلاثة مصادر رئيسية: «تفوق قوة الطبيعة، وضعف الجسد، والحضارة المتحكمة في العلاقات الاجتماعية في العائلة، والدولة، والمجتمع، وقد اهتم بالدرجة الأولى بالمصدر الثالث أي الحضارة معتبرا إياها المسؤولة إلى حد بعيد عن تعاسة الإنسان...بقوله: إن متطلبات الحضارة تقتضي أن يتنكر الفرد لرغباته، فيكتبها أو يضحي بها»[1]، فالاغتراب من وجهة **"فرويد"** يرجع إلى تعاسة الفرد المتكونة من ثلاث عناصر أساسية هي الطبيعة الإنسانية واعتماده على الآخرين، فيشعر بالقلق، والخوف من العقاب أو الجزاء من طرف السلطة الحاكمة.

لقد اعتبرت أعمال **"فرويد"** المحلل النفساني في تاريخه لعلاج الأمراض العقلية، والنفسية حالة من التحول (فقد أشار فيها إلى أهمية الدور الذي تلعبه الحياة العاطفية في الصحة العقلية، ومن ثم تمكن باستخدام طريقة التداعي الحر من الاهتداء إلى حقائق هامة تمثلت في:

– اغتراب الشعور–الوعي.

– اغتراب اللاشعور– اللاوعي) [2]

أما **"جون بول سارتر"(john paul sarter)** في تعريفه للاغتراب على أنه « اغتراب المرء عن ذاته، ويستخدم اصطلاح الاغتراب بمعنى معايشة المرء لذاته على نحو ما تنظر إليه ذات أخرى أي كموضوع »[3]، فيغترب الإنسان عن نفسه، وذلك من جراء الانطواء، والعزلة النفسية أي الاغتراب يولد له حالات نفسية مستعصية من خلال علاقته بالآخرين.

وحسب **"سارتر"** فإن مفهوم الاغتراب ما هو إلا «انعدام الحرية الإنسانية، ونظرة الغير هي عامل من عوامل الاغتراب على المستوى الفردي، والقهر، والاستبداد، والتعذيب، والاستعمار، كلها من عوامل الاغتراب على المستوى الجماعي، إن الاغتراب عند **"سارتر"** هو "التشيؤ"

(1) حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع)، ص49.

(2) ولد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي (في الوسط الطلابي)، ص60.

(3) ذياب قديد، المتنبي: بين الاغتراب والثورة، ص17.

(Refication) الذي يظهر في نواح شتى، فهو يظهر بوصفه استلابا لعالمي، وحريتي من خلال الآخر بوصفه استسلاما وخضوعا»[1]، فالإنسان الذي لا يملك الحرية، ويتحرر وفقا لحرية الآخر يعتبر عاملا سلبيا يخلق له نوع من الاغتراب النفسي، وإن كان مقهورا أو محروما من طرف السلطة غير عادلة التي تولد له الاغتراب الجماعي.

"فسارتر" يرى في نظرته للاغتراب على أنه يستطيع «تحويل نتائج العملية، ولكن ليس الحقيقة المعمقة، نرفض خلق الإنسان المغترب بأي شيء والاغتراب بالقوانين الطبيعية التي تحدد الشروط الخارجية، وتؤكد على نوعية الفعل الإنساني الذي ينساب في الوسط الاجتماعي مع المحافظة على التحديدات، والتي تحول العالم على أساس شروط معطاة»[2]

وأراد **"ميلفين سيمان"** (Melven Seeman) (التخلص من الغموض الذي دار بموضوع الاغتراب من خلال الفصل بين الاستعمالات المتعددة للمفهوم، وتوضيح معاني هذه الاستعمالات لتسهيل استعمالها في البحوث العلمية، ودون أي مشاكل تؤدي إلى الغموض، والإبهام، وهذه الاستعمالات هي:

–المعنى الأول: فقدان القوة، وسيطرة الفرد المغترب الذي يعني عدم شعوره بالقدرة على تغيير المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها.

–المعنى الثاني: ويعني عدم وجود هدف شخصي، وغياب القدرة على توجيه سلوكاته، ومعتقداته.

–المعنى الثالث: اللامعيارية، والتي تعتي عدم انعدام المعايير المتحكمة في تحقيق أهدافه اجتماعيا، وأخلاقيا.

– المعنى الرابع: العزلة التي تجعل الفرد يشعر بأنه غريب عن الأهداف الحضارية للمجتمع)[3]، لأن هذه الاستعمالات المتعددة تجعل الفرد ينفر، ويبتعد، وينعزل عن ذاته، ومجتمعه.

(1) مشقوق هنية، الاغتراب في الرواية النسوية الجزائرية، ص28.

(2) ذياب قديد، المتنبي: بينا لاغتراب والثورة، ص17.

(3) ينظر، بهجات محمد عبد السميع، الاغتراب لدى المكفوفين (ظاهرة وعلاج)، ص44.

ومن هذا المنطلق رأى **"سيمان"** (أن الاغتراب ينبغي تفكيكه إلى خمسة عناصر منفصلة هي:[1]

-العجز -افتقاد المعنى -افتقاد المعايير

-العزلة -اغتراب الذات)

إن من يدقق النظر في التعاريف التي جاء بها الباحثون، وعلماء، وفلاسفة الغرب حول ظاهرة الاغتراب التي جاءت في معان كثيرة، ومتعددة كل واحد فيهم أدلى بدلوه، وأعطى رأيه الخاص فيه، فالاغتراب هو حالة من اللاقدرة، واللامعيارية، والقلق، والعجز، والنفور، والاستعمار، والانتحار، والتعاسة كلها معان تجعل الإنسان يحس بالاغتراب عن نفسه، وعن مجتمعه أو الواقع الذي يعيش فيه، والذي يجعله يتنحى، ويبتعد، وينعزل.

والاغتراب النفسي عند **"فرويد"** الذي استطاع أن يصل إلى الحقائق الآتية:

(**1/ اغتراب الشعور**: فالخبرات هي التي يتم كبتها في النفس لتقليل الألم الناتج منها ولذلك، فإن تذكرها أمر صعب يحتاج إلى مجهود كبير للتغلب على المقاومة التي تحول دون ظهور هذه الخبرات إلى الشعور، وبذلك يغترب الشعور عن الخبرات المكبوتة، والمقاومة هنا مظهر من مظاهر الاغتراب الشعوري.

2/ اغتراب اللاشعور: فهو يشير إلى أن الخبرات المكبوتة تبدأ من حياة جديدة شاذة من اللاشعور، وتبقى هناك محتفظة بطاقتها اللاشعورية تنتظر فرصة لخروج المكبوتات غير أن أسباب الكبت لازالت قائمة، فإن اللاشعور يظل مغتربا على شكل انفصال عن الشعور، وما محاولة الأنا في التوفيق بين ضغط الواقع، ومتطلبات الهو، وأوامر الأنا الأعلى إلا هروبا من اغتراب الفرد عن الواقع الاجتماعي)[2]

(1) المرجع نفسه، ص45.

(2) ينظر، رغداء نعيسة، الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن النفسي "دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق للقاطنين بالمدينة الجامعية"، مجلة جامعة دمشق، كلية التربية جامعة دمشق، مجلد28، عدد3، 2012م، ص129.

2- أنماط الاغتراب:

2-1 الاغتراب الذاتي-النفسي:

الاغتراب الذاتي ويعني به (ذلك الإنسان الذي لا يمتلك ذاته...وتبدأ فكرة الاغتراب عن الذات بعدم الانتماء إلى المجتمع، فالفرد يغرب نفسه عن طبيعته الجوهرية، ويصل إلى أقصى قمم التطرف في التنافر مع ذاته، فالانتماء يمكن الوصول إليه على مستوى العلاقات بين الأشخاص فقط من خلال الوحدة مع البنية الاجتماعية) [1]

وبالتالي يفقد الفرد ذاتيته، وانتماءه للمجتمع، فيصبح بذلك غريبا عن طبيعته الجوهرية متناقض مع ذاتيته.

فيرى المفكر والفيلسوف "**فروم**" في كتابه "**المجتمع السوري**" «أن الاغتراب الذاتي نوعية من التجارب يعايش فيها المرء ذاته باعتباره غريبا عنها»[2] فيمارسها بدون وعي منه، وذلك بأنه مقيد تسيطر عليه تلك التجارب، والتي تعدُّ السبب الوحيد في اغترابه و" **فروم**" نجده قد تقاطع مع "**هورني**" (Horney) التي غاصت بأفكارها في أعماق هذه الظاهرة حيث خرجت في الأخير بنظرة فلسفية مترابطة، ومتماسكة، ومنسجمة، (وتبدأ هذه الحالة بأن يصبح المغترب غافلا عما يشعر به حقيقة، وعمّا يحبه، أو يرفضه أو يفقده، أي يصبح غافلا عن واقعه، ويفقد الاهتمام به ويصبح عاجزا عن اتخاذ قراراته حيث لا يعرف حقيقة ما يريد، كما يعيش في حالة من اللاواقعية) [3] فهو بالأحرى يعيش في حالة من اللاوعي تبعده عن كل الأشياء التي من حوله، فيصبح فردا عاجزا لا يبالي بمجتمعه، وبالتالي لا يعطيه أهمية بالغة.

ولتوضيح فكرة الاغتراب حول ما جاء به المفكرون "**هيجل**" و "**ريتشارد**" في هذا المنطق، ف"**هيجل**" يراه من وجهته الفلسفية أنه « من خلال علاقة الفرد ومجتمعه»[4] لأن الفرد يفقد كرامته وسط مجتمعه لعدم اعترافهم بقدراته، وطموحاته، ليحدث هناك تنافر بينهما مما يشكل له اغتراب ذاتي، ومن وجهة أخرى تناول "**ريتشارد**" هذه الظاهرة من منظور فلسفي ديني تختلف عن نظرة

(1) يحي عبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، ص24.

(2) المرجع نفسه، ص24.

(3) يحي عبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، ص24.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"**هيجل**" إذ يرجع الاغتراب الديني «خضوع البشر لضعف إيمانهم، مما يجعلهم يخافون حريتهم عن أنفسهم، وينظرون إلى ذواتهم كأشياء»[1]، وذلك يعود إلى ضعف في الدين بالنسبة للذات المغتربة، والذي يجعل ذاته مثلها مثل الأشياء المادية في الحياة، فيفقد إيمانه الروحي، والخوف على حريته.

أما الاغتراب النفسي كما يراه "**محمد عبد اللطيف خليفة**": «مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها الشخصية للانشطار أو للضعف، والانهيار، وبتأثير العمليات الثقافية، والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع »[2]، التي تجعل الشخص يمر بظروف قاهرة تمنعه من تحقيق هدفه، وذلك لاختلاف مبادئه مع واقعه الثقافي، والاجتماعي التي تولد له ضغوطات نفسية داخلية من ناحية الأمان، والراحة فتصبح ذاتيته مغتربة متوحدة.

وتعتبر الحالات الاضطرابية النفسية للفرد «صورة من صور الأزمة الاغترابية التي تعتري الشخصية، ويتحدد مفهوم الاغتراب للشخصية بالجوانب الآتية:

-حالات عدم التكيف التي تعانيها الشخصية، من عدم الثقة بالنفس والمخاوف المرضية، والقلق، والإرهاب الاجتماعي.

-غياب الإحساس بالتماسك، والتكامل الداخلي في الشخصية.

-ضعف أحاسيس الشعور بالهوية والانتماء والشعور بالقيمة والإحساس بالأمن»[3] لذلك تُعد شخصية الإنسان المغترب دائما في حالة من التقهقر والاضطراب، فهي تعاني من عدم الثقة بالنفس، والاستقرار الروحي والخوف من العلل المرضية، ومن اللاأمن الاجتماعي، وتحس الشخصية بعدم الشعور منه إلى فقدان الهوية الوطنية إذ يحس أحيانا بأنه لا ينتمي لهذا الوطن، وتصبح الشخصية مغتربة شعوريا من تزايد المشاكل الاجتماعية.

2-2 الاغتراب الاجتماعي:

يتمثل الاغتراب الاجتماعي في شعور الإنسان، واغترابه في مجتمعه بسبب تعرضه لعدة عوامل اجتماعية تجعله مهمشا، ومنسلخا ومنعزلا غير منتمي إلى الأوضاع السائدة في المجتمع، وهذا الاغتراب يتمثل كذلك في شعور الإنسان الفرد «بعدم التفاعل بين ذاته، وذوات الآخرين والبرود

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) جديدي زليخة، الاغتراب، ص 352.

(3) ولد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي (في الوسط الطلابي)، ص68.

الاجتماعي، أي ضعف الروابط مع الآخرين، وقلة أو ضعف الإحساس بالمودة والألفة الاجتماعية معهم، وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظله الإنسان في افتقاد دائم للدفء العاطفي»[1]

فهو اغتراب اجتماعي داخلي يحس فيه الفرد بالتهميش، والعجز، والعزلة في ممارسة سلوكاته الاجتماعية.

يشرح "**أرسطو**" **(Aristote)** هذا النوع من الاغتراب في كتابه "**السياسة**" « أن كل من كان غير قادر على العيش في المجتمع أو لا حاجة له بذلك لأنه مكتف بنفسه، فإنه إما وحش أو إله. فيرد انعزال الفرد عن مجتمعه إلى الدوافع الإنسانية، أو الأنا العليا، والسفلى التي تناولها بعد ذلك "**فرويد**"، دون أن يكوّن "**أرسطو**" فلسفته الخاصة حول نظرية الاغتراب الاجتماعي »[2].

فالإنسان الذي لا يستطيع العيش بين أفراد المجتمع الواحد، هو إنسان مكبّل بسلاسل تعيقه من كل الجوانب الاجتماعية إذ يعتبر ذلك الإنسان آلة لا غير تتحرك بدون وعي منه.

والمجتمع كما يظنه "**ماكيفروبيج**" هو بمثابة « نسق مكوّن من العرف المنوع، والإجراءات المرسومة، ومن السلطة المعروفة المتبادلة ومن شتى أوجه ضبط السلوك الإنساني والحريات»[3] يتجاوز المجتمع محدودية جماعة من الناس إلى ما هو أبعد من تنظيمات واتجاهات وحدة كاملة إلى نبذ سلوكات الإنسان، وحرياته.

أما "**نومان**" هو الآخر يرى «أن فقدان الوحدة مع البنية الاجتماعية للفرد، فالإنسان بينه وبين مجتمعه بنية اجتماعية لها علاقة تنافر، فالفرد اكتشف مؤخرا في اعتبار البنية الاجتماعية التي كان بينه وبين مجتمعه انتماء من قبل كان شيئا آخر بصورة متكاملة، وينشأ عدم تطابق بين في الوعي بين ذات الفرد، والبنية الاجتماعية، فيضع نصب عينيه في أن هذه البنية شيئا خارجا عنه، ومعارضا له»[4].

وهناك نوعان من الصراع الاجتماعي (من حيث مستوياته عمقا بدورهما هذا النمط من الاغتراب الاجتماعي، وهما:

(1) جديدي زليخة، "الاغتراب"، ص349.

(2) يحي عبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، ص25.

(3) سماح بن خروف، الاغتراب في رواية كراف الخطايا- لعبد الله عيسلى لحيلح، ص521.

(4) ينظر، يحي عبد الله، الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول، ص25.

الصراع الداخلي: وهو الذي يحدث داخل المجتمع الواحد بين الوحدات العرقية أو الفئات الدينية أو الطبقات الاجتماعية، وقد تتزايد حدته إلى قيام الثورات الداخلية، والحروب الأهلية.

الصراع الخارجي: وهو الذي يحدث بين الدول، وتستخدم فيه القوة المسلحة) [1]

إن هذا النوع من الاغتراب الاجتماعي الذي يفقد فيه الإنسان إنسانيته، وقيمته الاجتماعية المتعالية بينه وبين مجتمعه، فالصراع الداخلي هو بمثابة الهوة بين الفرد، ومجتمعه الذي يجعل منه شخص غير عادي، ومغترب أما الصراع الخارجي، فهو صراع محتدم بين دولة وأخرى تستعمل فيها قوة الأسلحة.

2-3 الاغتراب السياسي:

فاغتراب الفرد من ناحية الوضعية السياسية هو اغتراب يشعر به الفرد أنه مهمش، ويعني كذلك (شعور الفرد بأنه ليس جزءا من العملية السياسية، وأن صانعي القرارات السياسية لا يضعون له اعتبارا ولا يعملون له حسابا، وقد يمتد المفهوم ليشمل كل أنواع الاتجاهات السلبية نحو المجتمع عموما والنظام خصوصا) [2] لأن النظام السياسي لا يعطي للفرد اعتبارا ولا أهمية فيحس الفرد في نفسه أنه مغترب، ومقصى في وسطهم يرفض الواقع السياسي لمجتمعه لأنه كان السبب الرئيسي في اغترابه وهذا الاغتراب يجعل الفرد تحت رحمة أو تأثير سلطة مسيطرة ديكتاتورية (مجرد وسيلة لقوة خارجة عنه، فينتابه شعور بعدم الارتياح للقيادة السياسية والنظام السياسي برمته، والإحساس بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في الانتخابات وانعدام القدرة عن المشاركة الفعّالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه، إضافة إلى الشعور بعدم القدرة على المشاركة في قرارات مأثرة في الجانب السياسي) [3]

فالإنسان تأثر فيه السلطة السياسية الحاكمة أو النظام السياسي الدكتاتوري الذي لا يهتم برأي أي فرد من ناحية المشاركة في السياسة، ولا يمكن أن يقدم أي رأي يختص مصالحة الصادرة، وعدم قدرته على المشاركة السياسية التي له الحق في تنفيذ قراراته فيها.

(1) سماح بن خروف، الاغتراب في رواية كراف الخطايا-لعبد الله عيسى لحيلح، ص53-54.

(2) بشرى علي، "مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية"، مجلة جامعة دمشق، كلية التربية جامعة دمشق، العدد1، 2008م، ص524.

(3) ولد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي (في الوسط الطلابي)، ص69.

أما فيما يخص أسباب هذا الاغتراب (فقد قدّم "**لونج**" (S.long) بعض الاستنتاجات والتفسيرات لها ومن ذلك نجد نظرية "**التنظيم**" المعقد أو المركب التي ترى أن التمرد السياسي عادة ما يحدث عندما يصبح الناس عاجزين أو غير راغبين في المشاركة السياسية في المجتمع أو التنظيمات السياسية، وذلك لضعف العلاقات الاجتماعية والعجز عن الانتماء) [1].

وكما اعتقد أيضا "**إيريك فروم**" ظاهرة الاغتراب السياسي بأنها «ظاهرة سياسية تأتي من مشكلات المجتمع الحديث والمتميز بسيطرة الآلة، وهيمنة التكنولوجيا الحديثة على الإنسان، وهيمنة السلطة بأفكارها التسلطية القمعية»[2] هذا يعني أن التقدم في التكنولوجيا هو الذي جعل الإنسان يغترب بسيطرة وهيمنة الآلة عليه، التي أخذت مكانه، فأصبح لا قيمة له في الوجود عكس الآلة التي أصبحت اليوم تشمل كل شيء والسلطة كانت هي الأخرى في اغتراب الفرد بسبب قمعها عليه.

2-4 الاغتراب الديني:

يعتبر الاغتراب الديني (واحدا من أهم أنماط الاغتراب التي تتجلى في الشخصية الإنسانية، ويعني في جوهره ذلك الحس الديني فوق سطح الشعور، وتحوله إلى العمق الصوفي ويعني الاغتراب الديني عند "**شاخت**" الانفصال والانقطاع عن حياة الله عز وجل أو يعني السقوط من النعمة التي وهب إياه الله في عصيانه، وارتكاب المعاصي، والذنوب وهذا هو المعنى الذي عبرت عنه قصة خلق آدم، وهبوطه من الجنة إلى الأرض، وهذا "**ابن عربي**" الذي قد استخدم الألفاظ الدالة عن الغربة والاغتراب المتجسدة في فكرة الخلق، والهبوط تلك، وكذلك من خلال قوله (إن أول غربة اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبية الله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام وطننا، فاغتربنا عنها بالولادة) [3]

(1) عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص99

(2) ولد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي (في الوسط الطلابي)، ص77.

(3) ينظر مريم جبر فريحات، الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كنفتني÷ مجلة دمشق، مج26، ع3-4، 2010م، ص-296.297

ولقد أوضح **"فتح الله خليف"** ظاهرة الاغتراب الديني «أن الاغتراب الديني في الإسلام جاء في ثلاثة أشكال هي: اغتراب المسلم بين الناس، واغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين» [1]

أما **"علماء النفس"** أعطوا تسمية للاغتراب النفسي بالحاجات الروحية للفرد غير أن هذه الحاجات (تدفع الإنسان عن البحث عن إله يعظّمه، ويقدّسه، ويرتبط به، ويلجأ إليه، ويعمل ما يرضيه من العبادات) [2]، لذلك نجد بعض القبائل غير مسلمة والتي تؤمن بالقوى الغيبية باعتبارها إلها يحميها، ويغفر لها أو يعاقبها، وهذه القوى هي عبارة عن أشياء طبيعية يعبدها الإنسان المسيحي الغير مؤمن بوجود الله الخالق العظيم، ولكن الإنسان اليوم أصبح يلجأ إلى أغراض روحية بسبب تغير، وتنوع المجالات تواجد الفرد حيث نبهت **"هانري برقسون"** في هذا الأساس إلى «أن مشكلة العصر الحاضر، والمتمثلة في الصراع بين طغيان الآلية، وتضاءل نصيب الروح قد ترتب عليها ذلك الفراغ بين، الجسم، والنفس، وظهور العديد من المشكلات النفسية، والاجتماعية، والسياسية، والدولية»[3] فالحل الوحيد لتوازن الذات، وتصالحها يمكن في قوة العقيدة الإيمانية وذلك في الإيمان الإلهي والابتعاد عن كل ما هو غير مرتبط بالدين الحنيف.

وكما يرى **"شاخت"** في الإيمان بالعالم الآخر هو «عادة علامة على الاغتراب عن هذا العالم وعن المجتمع الإنساني وعن ذات الإنسان، كرد على فلسفة **"تشيليش"** التي ترى أن الوحدة الجوهرية تتضمن وحدة الله والإنسان، وتعد الخطيئة حالة من الغربة عن الله»[4] إن الإيمان بالعالم المخالف لعام الحقيقة الإلهية يعتبر اغتراب النفس عن الله والمجتمع والذات.

2-5 الاغتراب الاقتصادي:

لقد نظر **"كارل ماركس"** في حديثه حول الاغتراب الاقتصادي والذي اعتبره «العملية التي يفقد الفرد خلالها قدرته عن التعبير عن ذاته التي تحولت، وصارت تبدو متمثله في استغلال إنتاج

(1) جديدي زليخة، الاغتراب، ص351.

(2) المرجع نفسه، ص351.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) يحي عبد الله، الاغتراب "دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية"، ص26 – 27.

العمال بواسطة الرأسمالي»[1] فهذا النمط من الاغتراب يجعل الفرد عاجزا وغير قادر على التعبير عما يجيش في خاطره من أفكار التي تغيرت وأضحت مشتغلة من طرف أرباب العمل في الإنتاج العملي.

لقد اختلف "**إيميل دوركايم**" عن "**ماركس**" في تقسيمه للعمل (فإن كان "**ماركس**" يرى أن تقسيم العمل سبب للاغتراب، فإن "**دوركايم**" يرى أن تقسيم العمل ضروري لتحقيق الانسجام والتماسك داخل القيم الاجتماعية) [2]. فالاغتراب حسب تقسيم كل من "**ماركس**" و"**دوركايم** " فإن هذا الأخير الذي قسم العمل الذي اعتبره تقسيما سليما ومهما في تحقيق الانسجام والترابط وسط القيم الاجتماعية السائدة في الواقع .

وهذا المفهوم الذي أشار إليه "**ماركس**" باعتبار حالة «شعور العامل بانفصاله عن عمله، على الرغم من وجوده كجسم فقط في مقر عمله (المؤسسة)، وذلك الإحساس بالانفصال يولد لديه شعور بالعجز، والملل، والخوف من المستقبل»[3]. هذا ما يجعل العامل داخل عمله جسما بلا روح تسكنه يستخدم كآله لا غير، حيث هذه التصرفات تولد له الاغتراب يصبح في حالة من التفكير، والملل، والخوف على مستقبله. ويقول في هذا الصدد "**محمد خضر**": «شعور العامل بانفصاله عن عمله بالرغم من وجوده الجسمي داخل المنظمة، والشعور بالعجز والرتابة في أداء عمله...وكذلك شعوره بالإحباط، والخوف من المستقبل، وإن المادة هي الغاية في الحياة وليست الوسيلة»[4].

فالعامل داخل مقر عمله هو موجود جسديا، ولكنه روحيا غير متواجد لأن الاغتراب يولد له نوع من الانعزال الروحي فتتلاشى قدرته ويتخلله الفشل، والملل، والعجز في تأدية ما عليه من عمل فهدفه المنشود من جراء القيام بعمله هو كسب المال هذا الأخير يعتبر رغبته وليس وسيلة ولكن يبقى الفرد مترددا دائما في توقعه لمستقبله، والتنبؤية إن كان حسنا أم سيء.

وقد أوضح "**محمود رجب**" «أن العامل يعامل في المجتمع الرأسمالي كما لو كان سلعة، غير أنه ليس كالسلع الأخرى، لأنه يتميز عنها جميعا بالوعي، وعندما يعي العامل بذاته أن يعامل

(1) المرجع نفسه، ص25.

(2) المرجع نفسه، ص26.

(3) عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص81.

(4) عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص81.

كسلعة، وبدأ في الثورة على الاغتراب والتشيئ على وضعه البائس الشقي، واسترداد ما سلب منه هنا يظهر الإنسان الجدلي في مقابل الإنسان المغترب أو المتشيئ»[1]

أصبح العامل في وقتنا الراهن يتعامل وكأنه سلعة هنا يعي نفسه أنه مهمش من ذات النفوس صاحبة الأعمال، هنا تبدأ رحلة الاغتراب في الذات.

لا يمكننا فصل كل هذه الأشكال أو الأنماط المتعلقة بالاغتراب عن بعضها بصورة مستقلة فهي تشكل لحمة واحدة من المشاعر التي يعايشها الإنسان في المجتمع، فهي تؤثر في بعضها البعض بصورة مباشرة، فالاغتراب السياسي على سبيل المثال اغتراب يقوم بتشويه نمو الشخصية كما يؤدي كذلك إلى انفصام عرى العلاقات الاجتماعية لذلك يعتبر الاغتراب ظاهرة إنسانية تتأثر بجوانب عديدة [2]. من الحياة فالإنسان بطبعه إنسان حساس لمشاعره، فبسرعة البرق يحس بالاغتراب نتيجة الاضطرابات النفسية المصاحبة لذاته المغتربة.

(1) المرجع نفسه، ص89.

(2) ينظر، جديدي زليخة، "الاغتراب"، ص352.

الفصل الثاني

تجليات الاغتراب في الرواية

1/ الاغتراب النفسي

2/ الاغتراب السياسي

3/ الاغتراب المكاني

3-1 الاغتراب في البيت

3-2 الاغتراب في الوطن

3-3 الاغتراب في المنفى

3-4 الاغتراب في الجامعة

3-5 الاغتراب في الشوارع

1-الاغتراب النفسي:

إن طموح الفرد، وهدفه في الحياة هو إثبات ذاته، والعيش في مجتمعه بكل سهولة وتحقيق مراده، غير أن الظروف اللاإنسانية القاهرة الموجودة في الواقع تجعله غريبا عن طبيعته الجوهرية أو يصبح مغتربا عن ذاته مما يفقده الإحساس بالأمن والطمأنينة.

فالاغتراب النفسي «يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية وما ينتابه من شعور بالاغتراب عن العالم وفتورا أو جفاء في علاقته بالآخرين من خلال افتقاده الإحساس بنوع من العلاقة بينهما، ومن ثم انعدام الشعور بالقدرة على تغيير الواقع وحتى افتقاد القدرة على اكتشاف القيمة في الحياة إذ يؤدي ذلك إلى خلق حالة من اغتراب الذات عن الواقع الخارجي»[1].

وما ذهبت إليه "**هورني** " في الاغتراب عن الذات هو: «وضعا يتضمن قمع الفردية والعفوية لدى الفرد»[2].

في هذا الصدد يرى "**إيريكسون** " أن الاغتراب النفسي هو:«عدم الشعور بتحقيق الهوية، وما ينتج ذلك من أعراض، فالفرد الذي لم تحدد هويته بعد يعتبر مغتربا، لأنه يفقد الإحساس بالأمن الناتج عن عدم تحديد الهدف المركزي لحياته»[3].

أثناء قراءتنا لرواية "**خرائط لشهوة الليل**" "لبشير مفتي" قصد دراسة أنواع الاغتراب فيها تبيّن لنا أنّ هذه الرواية لا تكاد تخلو من التعبير عن معاناة الاغتراب النفسي بل كانت طاغية بنسبة كبيرة من خلال أحداث، وتفاعلات شخصيات الرواية هذا ما نجده واضحا وجلي في شخصيته البطلة " **ليليا عيّاش** " المرأة التي عانت الويلات بعد وفاة والدها منذ صغرها، والتي كانت تحض بعائلة سعيدة، غير أن حادثة وفاة أبيها في البحر غيّرت مجرى حياتها، وبعد أشهر

(1) أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن 17 (دراسة اجتماعية نفسية)، ص122.

(2) فيصل عباس، الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي)، ص165.

(3) جديدي زليخة " الاغتراب"، ص15.

قليلة من وفاة والدها صدمتها أمها بصدمة لم تكن تضعها في الحسبان بزفافها بأستاذ يدّرس بثانويتها، وهذا ما زاد من معاناتها النفسية من أحزان وألام روحية وهذا ما تعبر عنه بقولها: «**تزوجت أمي بعد سبعة أشهر من وفاة والدي ...وازداد حزني من جرّاء ذلك وشعرت آلامي الروحية تتفاقم**»(1)

كانت البطلة ليليا فتاة جميلة تعاني من الشعور المليء بالجروح والآلام الموجودة في ذاتها المنكسرة من جرّاء حياتها الأليمة حيث تقول: «**لم يكن ينقصني شيء بعينه، ولكن فهمت أن النقصان شيء جوهري في حياتي، وأنني سأعيش بهذا الشعور الجارح، الشعور المؤلم بأن هناك نقصا ما في تكويني، في حياتي، في ذاكرتي ، وفي قلبي وروحي.**» (2)، فهذه الأحاسيس تركتها لنفسها، ولكن راحت تسعى للبحث عن بديل آخر في الوصول إلى هدف مهم في حياتها، رغبة في الانتقام من أقرب الناس إليها، فهذا الانتقام قد زاد من اغترابها في النفس؛ أي انفصالها عن ذاتها التي أفقدتها الحس، وغياب الوعي، فتسرد هذه العبارة قائلة: «**كنت أترك هذه الأحاسيس لي وأستبدلها بثقة عمياء في النفس بروح مقاومة ومُصِرَّةٌ على تحقيق منزلة مهمة في الحياة وكنت أرغب في الانتقام، ولكن لم أكن أعرف ممن؟ ولكن كان انتقامي دائما يأتي من أولئك المقربين إليّ** »(3)

إن النقص الجوهري الذي ينتاب نفس البطلة هو السبب الوحيد الذي خلق لها نوعا من الاغتراب عن ذاتها، حيث أصبحت تشعر بفقدان مقومات شخصيتها الحقيقية، وعدم إحساسها بالاكتمال في أعماقها النفسية، فتعيش حالة من التياهان والتأزم العقلي، ويظهر ذلك في العبارة الآتية بقولها: «**لعلّ تعويض النقص والإحساس الجارح بفداحة الخسران الذي كان يأكلني عميقا من الداخل هو ما دفعني إلى أن أشعر بعملية الانحدار النفسي، أو أن أدرك أنني**

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008م، ص 10.

(2) المصدر نفسه، ص12.

(3) المصدر نفسه، ص 13.

أعيش حالة من التوهان العقلي»[1]. وقد ظهر شعور الاغتراب بالانفصال عن الذات لدى البطلة في الانتقام الذي كان يمزّق نفسها برغبات شيطانية اتجاه الآخرين بكل عدوانية لا شفقة ولا رحمة ولو كان ذلك حتى مع الطيبات بنات العائلات، واللواتي لا يحببن إلاّ الخير لهذا العالم، فهي تؤكد بأنها الشر، والغضب القاتل، والوحشية الكاسرة، وهو ما يتناسب مع ما جاء به علماء النفس في وصفهم لظاهرة الاغتراب الذاتي «إذ يتصف المغترب بالقلق والاكتئاب وغالبا ما يكون عدوانيا في سلوكه مع الآخرين»[2].

والعبارة التي توضح اغترابها في قولها كالآتي: «**كان الانتقام يسري بداخلي كرغبات قاتلة ومجنونة وهو ينبض في كامل شرايين جسمي كنت أشعر به متلهفا للانفكاك على كل من يجرؤ على الاقتراب مني، ولن أرحم ساعتها الطيبات العاقلات بنات العائلات المحترمات، واللواتي لا يفكرن إلا في خير العالم وصلاحه، كنت أقول وأردد: إنني الشر بنفسه، وأعدكم بغضبي القاتل، بشري الناري، بوحشتي الكاسرة** »[3].

وتطول الرواية، وتطول معها هموم شخصية البطلة المفعمة بالاغتراب الذاتي، فهي في صراع داخلي بالتفكير في الانتقام من أقرب الناس إليها أمها التي كانت السبب الرئيس في معاناتها النفسية. جرحتها في صميم قلبها بعد وفاة والدها، وزواجها من شخص آخر، فكان شعورها الانتقامي هذا وكأنها تنتقم لوالدها، ولشيء ما كانت تحس به في داخلها ظنا منها بأنها ستزيل عنه كل الآلام فتقول: «**رحت أفكر في الانتقام من شخص، وكم كان سهلا ذلك الانتقام! لكن تأثيره عليّ كان غريبا، لقد جرحني في الصميم وكاد يدمرني حقا لكنني أنجزته، كان سهلا عليّ حينها أن أنتقم من أمي، لأول مرة لم يكن الأمر مجرد انتقام من ذلك الشعور الفادح**

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص 13.

(2) أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن 17 (دراسة اجتماعية نفسية)، ص122.

(3) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص 13.

بالنقص، ولكن كنت أشعر أنني أنتقم لوالدي، ولشيء ما لم أبرأ منه قط، لجرحه الذي بقي مفتوحا فيّ وفيه»[1].

وهذا يتطابق مع ما قاله " **محمد عماد الدين إسماعيل**" الذي يرى أن «الاغتراب النفسي ما هو إلا صراع داخلي»[2]، فكان إحساس الاغتراب تتصاعد أنفاسه في ذات البطلة، التي كانت تشعر بنوع من الاختلاف بينها، وبين صديقتها منيرة وهذا الاختلاف يكمن في الشيء الأسود الذي كان يسكن روح البطلة من الداخل، ولكن منيرة لم تكن من هذا النوع النفسي العميق الغامض المليء بمرارة الاغتراب الذي تعاني منه ليليا، فهذا الشعور الأسود الذي يحتل ذاتها لم تكن صديقتها غارقة فيه، فليليا بارعة في هذا المجال الأسود، والجنس الذي يهدد غضبها الداخلي، فكانت تمارسه وبكل حرية، واستقلالية وبجنون ولكنها على وعي بما تفعله فتسرد دائما وتقول: «**"الشيء الأسود الذي يسكنها من الداخل".. لكن منيرة لم تكن من هذا الصنف.. لا لم تكن صالحة لذلك، أو أظن أنه المجال الذي كنت فالحة فيه، بارعة ونهمة وأشعر أنه يخرس أصواتا مجنونة بداخلي، يطفئ نيران غضبي، يخمد شيئا قاتلا بروحي كنت أمارسه بنزق وحرية بجنون وطيش، غير أنه جنون أدرك معناه، وأفهم حدوده، كان مثل أقراص مهدئة تصلح لجعلي أرتاح في سريري على الأقل وأنام منهمكة من التعب الجسدي، لا غير**» [3].

إن حالة اغتراب الإنسان عن نفسه هي حالة مرضية تحدث بسبب التجربة الحياتية التي يعيشها ذلك الفرد، فيصبح غريبا عن نفسه كمركز لعالمه، ولأفعاله التي صنعها بيديه، فيصبح كآلة لا غير وبالتالي يمسى غريبا عن الآخرين، أو بالأحرى عن العالم برمته، فشخصية البطلة التي مزقتها أحاسيس الخيانة اتجاه زملائها الطلبة الجامعيين الذين ضحوا من أجل تغيير أوضاع البلد، فشعورها بالاحتقار النفسي ينزع ذاتها عن جسدها، فكان ذلك أمرا صعبا ومؤلما ومشينا لذاتها، فأحست

(1)بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص 14.

(2) بهجات محمد عبد السميع، الاغتراب لدى المكفوفين (ظاهرة وعلاج)، ص23.

(3) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص18.

في لحظة وجودها معهم كأنها منفصلة عن نفسها وعنهم وعن عالمها، فترصد هذه العبارة قائلة: «**كنت معهم والإحساس بالخيانة مافتئ يمزقني، والاحتقار للنفس يسلخ روحي عن جسدي. أي شعور ذاك الذي يمكن معايشته بذلك الألم والفجيعة؟ مثلت دور المرحبة والسعيدة مثلت ولبست قناعا مختلفا وأدركت في لحظة من حياتي أنني صرت غريبة عن نفسي، غريبة عنهم، وغريبة عن العالم بأكمله**»[1].

لقد كان القدر حليف ليليا الفتاة المنغمسة في ترهات الألم، والتذمر وهذا القدر الذي أخذ منها والدها بقساوة وبدون رحمة من الحياة، ولسوء حضها أيضا شاء القدر أن يأخذ منها حبيبها الغالي خالد الذي أحبته من أعماق قلبها فكان قدرها، أن تعود بعد وفاته إلى بلدها الجزائر حيث بدأت نبرة شعورها تعلو تجاه بلدها أعلى درجات الاغتراب النفسي بالانتماء المزيف الذي زادها اغترابا فوق اغترابها الآسر، وهذا ما تذهب إليه : «**ربما كان القدر، شاء أن أعود ثانية بموته لبلدي من جديد، لتلك الأرض التي بدأت أشعر نحوها بالكثير من الانتماء المشوش والغريب والآسر**» [2]، ما أصعب أن يحصر الفرد نفسه في ماض متعلق به خاصة، وإن كان ماض تعيس مليء بالمصائب، والمآسي، فتميل نفسه نحو الاستسلام للواقع أحيانا فلم تكن البطلة ليليا لتحضر نفسها في ماض نيرانه مشتعلة بالأسى ومرارة الإحساس بالاكتئاب، فهي ترى أن غيرها من الناس يرتاحون أثناء استحضار ماضيهم على عكس ذاتها التي كانت مستسلمة للهو، ولشيء غير موجود والصمود للقدر بأن تترك حياتها تسير بلا هدف لما تفرضه عليها الحياة دون إحداث أي تغيير لتحقيق أهدافها إذ عبرت البطلة عن ذاتها بقولها: «**لم أفكر قط أن أسجن نفسي في ماضي الخاص، كثير من الناس يرتاحون في ماضيهم، على العكس مني أنا التي**

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص29.

(2) المرجع نفسه، ص44.

رغبت دائما في الاستسلام لعبث المجهول ومكاتيب القدر، وأترك خطواتي تسير بلا هدف» [1].

أما فيما يخص بقية الشخصيات الموجودة في الرواية، والتي تعاني هي الأخرى من حالة الاغتراب النفسي على مستويات متعددة، فبدت مظاهر الاغتراب عليها واضحة نجد مثلا شخصية علي خالد تلك الشخصية التي تمثل حالها في الانهيار والتمزق النفسي والكراهية والمقت لأوضاع الحرب في بلده، فهو يريد تغيير وتجديد أوضاع الوطن إلا أن السلطة والقوانين السياسية همشته، فأحس بالقهر أمام الذين كان يلقبهم بالسماسرة والمرتزقين ولو كان علي خالد إنسانا عاديا لقنع بواقعه المعاش ولا يهمه ما يجري فيه من أحداث غير التفكير في نفسه، ولكنه كان عكس ذلك تماما حيث سردت ليلا أحداثه، وأقواله التي عبرت عن حالته الاغترابية تقول: «**أعرف بأن علي خالد كان يكرههم ويمقت تبجحهم وادعاءاتهم كان يصرخ أحيانا في غرفة النوم "لست مثل هؤلاء السماسرة والمرتزقين"، ربما زاد ذلك من غليانه النفسي وشعوره بالقهر**» [2]

تعيش بطلة الرواية حياة مختلطة في عالم مليء بالعقد والإلتواءات وفي نفس الوقت تعاني من حيرة وألم، مما يعد مظهرا من مظاهر الاضطراب النفسي، والتي تشعر كأنها تمشي في طريق بلا هدف والتي اختارت لنفسها عالمين نقيضين هما عالم الليل وعالم النهار الأول تحس فيه بالوحدة النفسية، والثاني تشعر فيه بالاكتئاب النفسي، فهي تعيش حياتها بحالة من الصراع النفسي الداخلي في رضوخها لمتعتها في بوتقة اللذة، والعبث على الذات أو التقوقع حولها، وهذه الملذات تسكن جسدها وروحها بنوع من التوتر والقلق تقول عن نفسها: «**كان العالم كله معقدا في رأسي بما يكفي لكي لا أزرع في قلبي المزيد من الشكوك، ولكنني بقيت حائرة مترددة، لا أستخلص أي عبرة منكل ما يحدث لي أخزّن التجارب والإخفاقات، أتلمس طريقي في**

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص48.

(2) المرجع نفسه، ص48.

وحدة الليل وكآبة النهار، وأنثر عمري في الملذات التي تسكن قلق الجسد والروح »[1].

وهذا يتوافق مع ما ورد في كتاب دراسات "**في سيكولوجيا الاغتراب**" الذي يرى كاتبه أن الاغتراب هو: «عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه»[2]

وأما عن شخصية الكومندان مسعود "**زوج ليليا**" الذي يعيش حياة غامضة لا تفهم منها البطلة لا الكثير ولا القليل، والذي كان يتصف بالتجبر والتكبر يخافه كل الناس بمجرد سماع اسمه، فبدأت حياته تتغير شيئا فشيئا غير أن شخصيته بقيت قوية يصارع بها الحياة، ولكن الشيء الذي يخيفه أن تدور عليه الدنيا أو تأتيه ضربة قوية من أعدائه الذين يكرهونه بسبب ثرائه في وقت قياسي أصبح فيه يملك كل شيء، فبدا إنسانا غير متوازن، ولا متماسكا نفسيا، فالتوتر والاضطراب زاد من فقدانه للطمأنينة، والاستقرار حتى أصبحت تخرج كوابيس الكبت الداخلي أثناء نومه في شكل وساويس كل ليلة، فيستيقظ مفزوعا من فراشه، فتخبرنا ليليا عن ظاهرة اغترابه النفسي في حيث تورد: «**صار وسواسه الخناس، كل ليلة تقريبا، يظهر له كعفاريت ووحوش تنقض عليه ويستيقظ مفزوعا، على غير عادته..**» [3]

ونتيجة لهذه الحياة اللامتوازنة سيكولوجيا، نجد البطلة تعيش حالة من الحزن العميق والألم والاكتئاب والعزلة النفسية التي تغوص فيها عميقا، حين يسافر مسعود، فتشعر بمرارة الاغتراب، وتصدعه فتتحدث في هذا الصدد قائلة: «**بينما هو يسافر أغرق في وحدتي من جديد**»[4].

في التفكير بالعودة إلى ماضيها الجنوني، وشهوة الملذات الجسدية.

"لولا صديقة ليليا" الفتاة التي هربت من بيت أبيها وهي حامل ضائعة لا تعرف ما تفعل تعاني من الوحدة، والاغتراب في عالم يمثل لها التعاسة، والفقدان والتي تواجه الواقع بأيادي مكبلة

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص66.

(2) عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجيا الاغتراب، ص40.

(3) شير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ض79.

(4) المصدر نفسه، ص 80.

لا تعرف ما تفعل سوى الاستسلام لفئة حقيرة موجودة في المجتمع، فتشعر بالإحباط والانفصال عن الذات، فأصبحت تحس نفسها، وكأنها وسيلة تستعمل في قرار رغبات رجل مجهول أو رجال لقضاء حاجاتهم الجنسية من سكر ونشوة تقول ليليا عنها: «**بدأت كما لو أنها لم توجد قط. نسيها الجميع ونسيت هي بدورها طفولتها وأحلامها البعيدة. يوما بعد يوم كانت تشعر بأنها لم تعد تصلح إلا أن تكون دمية رغبات لرجل لا تعرف عنه أي شيء**»[1]

بدأت حياة البطلة المنهارة نفسيا تتفاقم رويدا رويدا حتى الوصول إلى ذروة الفشل بزوار جميع قواها، فشعرت في عمقها، وكأنها تدق ناقوس الخطر الذي يداهم نفسها المتأزمة بالشعور الفادح بدنو أجلها الذي لم تضعه في الحسبان قط إلا بعدما بعث لها عزيز السبع رواية تتحدث عن "لام" فزعزعت مشاعرها هذه الرواية بأنها تشبهها تماما وكأنه يتحدث عنها هي لا غيرها، فعبرت البطلة عن نفسها وعن مكنوناتها الداخلية بقولها: «**عرفت بشكل خفي، أو في باطني العميق أن الأمر مرتبط بشيء خطير سيحدث لي، شعرت بدنو النهاية، باقتراب الساعة، بذلك الأمر المرعب الذي كنت غير مبالية حتى به هو**»[2]

كان إحساس اغتراب الذات يتفاعل في نفس شخصية عزيز السبع حبيب منيرة مع بلوغه الأسى، وهو يتحدث عن حبيبته التي خانته، وتخلت عنه بسبب ارتباطها مع غيره، فتمزق فؤاده مع كثرة التعبير عنها في حالة العجز والإحساس بالفشل، وخيبة أمل في استرجاع حبه المفقود، فهذا ما زاد من اغترابه الروحي حين كان يحاكي ليليا فتقول: «**كنت أبصره يتكلم بأسى**»[3]

أصبح يمثل اليأس بالنسبة للبطلة نوعا من الفشل، والتشاؤم في الحياة في انتظار عودة زوجها مسعود الذي يغيب عنها لمدة طويلة، ثم يعود ولكن هذه المرة طال غيابه، فأصبحت مغتربة نفسيا في عالم صنعته بذاتها فأصيبت بإحباط شديد والعبارة الدالة عن قولها كالآتي: «**شهر وراء شهر انتظرت حتى يئست مرة أخرى من عودته**»[4].

ظلت حياة البطلة في الاستسلام والخوف، الفزع الذي يراودها كل لحظة من زوجها مسعودا الذي عاد بعد سنوات من الغياب الذي يعد سببا في تعاستها مما جعلها تحس بكوابيس مرعبة في

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص90.
(2) المصدر نفسه، 101.
(3) المصدر نفسه، ص107.
(4) المصدر نفسه، ص130.

التفكير بأنها سينهي ويخلص حياتها في أي لحظة من الزمن هكذا تبقى البطلة في حفرة من التفكير العميق، إزاء المخاوف والاضطرابات التي تطارد نفسها وهذا ما عبرت عنه في المقطع السردي: «**الخوف شلّني، مسعود استطاع أن ينقل لي كل ذلك الشر والرعب في الآن ذاته، الخوف منه، انتظار أن يضع حدا لحياتي، كما لو أنه سيقتلني في أي لحظة**»[1]

من خلال ما سبق يتبين بأن البطلة تعيش نوعا من الاغتراب الإجباري، فهي ضائعة في متاهات النفس المتعبة المعذبة التي أرّقها موضوع الموت ضنا منها بأن مسعود سيقتلها يوما، ولكن شاءت الأقدار أن يموت هو على يد زوجته التي تعاني من العزلة النفسية، والكوابيس المخيفة «التي تعد نتاجا طبيعيا للتمزق الروحي الفظيع الذي تعيشه والذي يدفعها...إلى رفض الحياة جملة وتفصيلا»[2]، وهذا ما جاء في قولها: «**ولكن وأنا أنتظره يقتلني، قتلته أنا! يا للكارثة بدل أن يخلصني خلصته أنا، بدل أن يريحني أرحته أنا، قتلته في وحدتي تلك، في كوابيس الانتظار والخشية والرعب قتلته أنا ليليا عياش، وليشهد الجميع أنني فعلتها**»[3].

تغلغلت فكرة القتل أعماق البطلة التي تعاني من حالة اغترابية قلقة، ومكبوتات نفسية أخرجتها في شكل سلوك، فعلي تجسد في قتل زوجها مسعود، وهذا القتل كان يحرق قلبها بنيران مشتعلة في نفسها الأليمة الآسرة، والمرهفة فهي غارقة في التوهم الذي يكّن عالمها الجنوبي أعطى لها راحة نفسية شعورية، وهذا خير دليل على قولها: «**قتلته لأقتل الأصوات، لأشعر بالراحة التي كنت أتمناها على يديه ولم أشعر بها قط، نار أكلتني من الداخل وقلبي تمرع في هوس الألم المجنون، ودمه سال على جسدي ولطخ السرير، قتلته بخوف وحب وخشية، قتلته ودمه سال وتدفق مثلما رأيت دمه يسيل ويتدفق في تلك الكوابيس المزعجة في ليالي وحدتي وانتظاري وأرقي**»[4].

لقد صعدت روح مسعود المتجبر إلى الأعلى فحزنت وبكت ليليا عليه فلم يحكم عليها أو يحاسبها أحد بعد ذلك كل شيء مرّ بصمت، فبقيت البطلة تواجه آلامها الذاتية من القلق،

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص139.

(2) سماح بن خروف، الاغتراب في رواية كراف الخطايا- لعبد الله عيسى لحيلح، ص149.

(3) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص141-142.

(4) المصدر نفسه، ص142.

والإحباطات المتواصلة التي أثقلت كاهنها، وجبروت الظلام الذي يغطي مناطق داخلية نظيفة غير ملوثة، وبقهر الذات ومعاناتها وهذا ما تعبر عنه: «**تركوني لآلامي الروحية، لقلقي النفسي، لجبروت الظلام الذي راح يغزوني من الداخل ويلوث كل ما فيّ من نقاط بيضاء، من مناطق صافية**» (1).

ولقد صورت لنا أحداث الرواية شخصية البطلة تصويرا مخالفا لبقية الشخصيات الأخرى، فالبطلة عانت مرارة الحياة البائسة منذ وفاة والدها إلى نهاية الرواية إذ أصبحت منطوية على ذاتها التائهة الكئيبة لدوامة الاغتراب القاتلة بعد تخلصها من زوجها، وهذا الاغتراب جعلها تشعر بفقدان الدنيا لتصبح غريبة عن الوجود الكوني وكل ما يتعلق بها من أحاسيس مادية ومعنوية، وتسرد قائلة: «**لم يعتقلوني، لم يقتلوني، بقيت لعزلتي أموت فيها، لكابتي الليلية أقتل بداخلها، فقدت كل شيء طعم الحياة والوجود والأشياء المحيطة بي**»(2).

هكذا إذن عبرت البطلة عن اغترابها النفسي وجسدته أيما تجسيد وفق نمط حياتي مليء بالأوهام والكوابيس، والعذاب الطويل الذي يكشف عن تغيرات نفسية عاشتها من يأس وتذمر وقلق وضياع روحي وهذه العبارة توضح ذلك بدليل أوسع على اغترابها الذاتي تقول: «**وسأصرخ بأعلى صوتي كنشيد حلم ميت: توقفي أيتها الكوابيس، لقد طعنني اليأس بقوة إن دمي يسيل وروحي تنزف**»(3)

2- الاغتراب السياسي:

يعتبر الاغتراب السياسي أكثر أنواع الاغتراب التي يواجهها الفرد في حياته ويعجز عن إيجاد حلول مناسبة لها، خاصة في زمننا الراهن.

وهذا الاغتراب متمثل في العجز السياسي الذي يتضح من خلاله أن الفرد المغترب لا يمتلك القدرة الكامنة في إصدار قراراته، وأفكاره في تغيير الوضع، وإحساسه بفقدان مختلف التفاعلات السياسية داخل المجتمع بمعنى أن الإنسان المغترب سياسيا هو ذلك الفرد «الذي ليس لديه القدرة

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص142.

(2) المصدر نفسه، ص143.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

على إصدار قرارات مؤثرة في المجال السياسي وكذلك تغييب عن المعايير التي تشكل النظام السياسي»[1]، فيصبح بذلك إنسانا مقيّدا بسلاسل أنظمة الدولة، فيشعر بالتهميش، وعمق الإقصاء، والهروب من الواقع نتيجة انفصاله عن دولته السياسية التي تتصف بالقمعية.

ولقد عرف الاغتراب السياسي" الذي ينتاب الفرد في قولهم: «الرفض لمجموعة من القوانين الجبرية التي تحكم الوطن وأحيانا التصدي لها والثورة عليها»[2]، فيعتزل الفرد المجتمع بسبب رفضه للخضوع للقوانين، ومواجهتها بطرق سلمية أو ثورية، والتي تكون أحيانا متسلطة «يصبح فيها الإنسان معرضا للهيمنة على حياته ومصيره و يُسلب من حقوقه ووسائل التعبير عن نفسه»[3].

أي حرمان الفرد من حقوقه الأساسية، كالتعبير عن آرائه، وأفكاره ومعتقداته في المجتمع السياسي الذي يؤدي للقضاء على كينونته، فيشعر الفرد حينها بشتى مواطن الاغتراب السياسي من إقصاء، وتهميش وتمزق وضياع، ورفض الواقع السياسي، فنجد الفرد المثقف مكروه من طرف الدولة السياسية لا تعطي له قيمة، وبالتالي فهو مهمش، ومقصى من تسيير دواليب السلطة، فينتج من جراء ذلك عزول الفرد ووحدته وقد تجسدت ظواهر الاغتراب السياسي في هذه الرواية، والتي صورت لنا حالة المثقف الجزائري الذي عانى الغربة في فترة العشرية السوداء من تمزق وضياع وقلق، ومن جروح عميقة في نفسيته المتأزمة، وهذا يتوافق مع العبارة الآتية فهو «ناجم عن إحساس الفرد بالضياع والقهر بسبب الاستبداد وفقدان الأمن والأمل ويعني ذلك رفض الفرد لواقعة مجتمعه»[4].

فشعور الفرد بعدم الرضا وخيبة الأمل يتولد له نوع من الانفصال عن المجتمع وما يحيط به.

فهناك نوع من الحساسية بين المثقف والسياسي تجعل «كل منهما على طرفي نقيض لسبب بسيط يكمن في رفض المثقف للمساومة بمبدأي الاختلاف والتطور، وسيظل الفرق شاسعا بين السياسي والمثقف لكون الأول تحركه مشاكل المجتمع عوامل ذاتية، في حين الثاني تؤرقه تجاه

(1) سماح بن خروف، الاغتراب في رواية كراف الخطايا- لعبد الله عيسى لحيلح، ص43.

(2) عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، ص17.

(3) حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع) ص93.

(4) أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في اقرن 17 (دراسة اجتماعية نفسية)، ص164.

مشاكل المجتمع نوازع موضوعية»[1] فيظل المثقف دائما العدو اللدود للسياسة، فهو يكرس الوضعية لا يؤمن بالتداول على السلطة.

ولقد تجسدت ملامح الاغتراب السياسي في هذه الرواية، والمتمثلة في مصير المثقف تجاه السلطة السياسية، حيث نجد فيها مثقف يتميز بالصمت إما يكون مصيره التعذيب، وهناك مثقف يحبذ الهروب إلى الخارج، وهناك مثقف مصيره السجن، ومن خلال هذا سنتطرق من خلال أحداث الشخصيات المثقفة الموجودة في رواية "**خرائط لشهوة الليل**".

لقد رصد لنا الروائي "**بشير مفتي**" مقتطفات أو نماذج روائية عن معاناة تهميش، وإقصاء السياسي للمثقف الذي أعطى كل العنان بأن تسرد بطلته الحكاية على لسانها، وهذا المثقف لم يكن سلبي بالأحرى بل كان إيجابي في تقديم أفكاره المختلفة من أجل وطنه الجزائر.

لقد سردت لنا البطلة "**ليليا**" أحداث الشخصيات المثقفة التي تعاملت معها كل شخصية لوحدها على حده، وهذه البطلة المثقفة التي أعطى لها الروائي "**بشير**" كل الحرية في سرد الحكاية على لسانها حيث عبرت عن عجز الشخصيات المثقفة عن التغيير في الوضع السياسي.

لقد حولت البطلة حياتها التي تمثلت من خلال تصرفاتها، وأفعالها التي جسدتها في الواقع إلى حياة تسكنها هواجس أخلاقية، واجتماعية وسياسية وتعتبر البطلة طالبة جامعية مثقفة انعكست حياتها من الإيجاب إلى السلب بعد وفاة والدها الذي كان يمثل لها كل الحياة، حيث تقلبت حياتها رأسا على عقب، فأصبحت حياتها مجسدة ضمن عالمين متناقضين عالم الليل، وعالم النهار حيث يمثل الأول عالم الثقافة، والثاني عالم الملذات الجسدية، فعاشت ظروفا صعبة للغاية لا يتقبلها العقل، وفي علاقتها مع شخصية سياسية تسلطية أثقلت كاهنها، وهذه الشخصية تمثلت في شخصية كومندان مسعود الذي أدخلها عالم السياسة من دون رغبة منها و استغلالها في كسب مصالحه السلطوية، والحفاظ على مكانته فيها، فأصبحت البطلة بعد ذلك لعبة في يده يسيّرها كما يشاء فطلب منها التجسس على أصدقائها الطلبة المثقفين الذين يدرسون معها في الجامعة في

(1) عبد الله حمادي، نفاضة الجرّاب(تأملات في الأدب والسياسة)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، ص 271.

اجتماعاتهم، وتحركاتهم قصد استقرار البلد وأمنه تعبر البطلة على لسانه قائلة: «**هؤلاء الطلبة الذين تعرفينهم واحدا واحدا على ما نحن متأكدون منه ينشطون كثيرا في الجامعة ويسببون لنا مشاكل كبيرة ولكن لا نعتبرهم خطرا على أمن البلد كلما هنالك أننا نشك أن وراءهم أشخاصا خطرين، نريدك أن تخبرينا بكل ما يحدث في اجتماعاتهم أنت تملكين المؤهلات الكافية لتكوني جزءا من خلاياهم الصغيرة، يجب أن تقتنعي بأن ذلك سيكون لصالح استقرار البلد وأمنه**»[1].

فلم تكن البطلة "**ليليا**" سوى جسد مدنس معرض لملذات الرجال يوم بعد يوم دون إعطاء قيمة لشرفها، وذلك من أجل كسبها للمال فقط، وقد عاشت حياة مليئة بالضياع، والتمرد حيث كانت كرة تسحب بين أرجل الرجال من شخص لآخر، وهذا ما قالته معبرة:« **في داخلي مزقني الشعور بأنني خدعت، وكنت مجرد دمية في يد رجال من فوق أو رجل واحد يمثل كل ذلك الفوق العجيب الغريب الذي لا نقترب منه إلاّ لنحترق بناره، لا ندرك جمال غيابه إلا عندما نكتشف خطورة حضوره، رجل أو رجال استعملوني لمصلحتهم، وليس لمصلحة البلد**»[2] فهذا مصير البطلة منذ رحيل والدها، وزواج أمها كل ذلك أشعرها بالنقص الجوهري لذاتها، والضياع والسقوط المتدهور.

أما عن شخصية حبيب "**منيرة**" "**عزيز السبع**" فهو يعاني من حالة اغترابية وفجوة عميقة بينه، وبين النظام السياسي القائم على الحزبية بعد أكتوبر 88 حيث أخبرت منيرة صديقتها "**ليليا**" عن حالته النفسية المتدهورة بعد رؤيته لأصدقائه ما عانوه من تعذيب بسبب طرح أفكارهم، فأصبح بعد ذلك إنسان معزول عن نفسيته المتدهورة الضعيفة، فيعتبر نفسه بأنه لا يصلح للمشاركة في صنع القرارات، فهو لما ضعفت نفسه انفصل، وانسحب والمخطط الآتي يوضح ذلك:

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص25-26.

(2) المصدر نفسه، ص30.

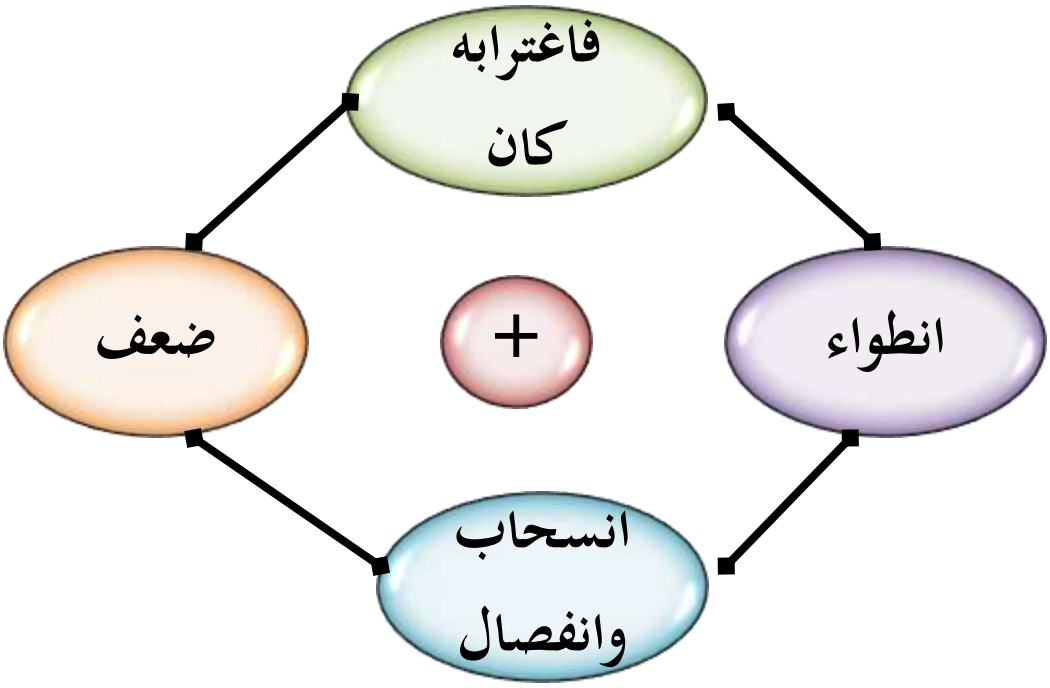

وهذا يتساوى مع القول الذي أخبرت به **"منيرة" ليليا"** حينما حدثها عن حالته «لا أصلح لأن أكون مناضلا سياسيا، أنا ضعيف، أو أشعر بأنني أنتمي إلى طينة أو طبقة الضعفاء، ولا يمكنني مخادعة نفسي هنا، ربما هناك من هو أسجع مني لمواجهة آلة العقاب المريبة من أجل أفكاره تلك أما أنا فلا»[1]

أما **"منيرة"** فهي كذلك سحبت نفسها من السياسة كانت تشعر بشيء من التذبذب تارة سعيدة، وتارة تعيسة بهذا تعيش في معزل عن السياسة، وقد برز ذلك في قول ليليا: «**أما منيرة فلم تكن أمورها واضحة، شيء من الفرح والانكسار، ابتهاج بالتغيير وإحساس بالذنب أيضا– هكذا سبحت نفسها من المعركة، وقالت لي: المهم أن البلد انفتح سياسيا وهذا أمر لن يتراجعوا عليه**»[2].

أما عن شخصية **علي خالد**" حبيب **ليليا** هو الآخر إنسان مثقف يميل إلى المشاركة السياسية، فشعر بنفسه في وطنه، وكأنه يسير بلا هدف، فتفاقمت غربته في بلده الجزائر، فاضطر وقرّر الهروب والهجرة إلى خارج الوطن برفقة ليليا متجهين نحو باريس « **المدينة التي تعد رمز الحرية والعدالة والثورية، والتي تحتضن الأحرار والسياسيين من جميع أنحاء العالم**»[3].

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص30.

(2) المصدر نفسه، ص30.

(3) مرشد أحمد، أنسنة المكان (في روايات عبد الرحمان منيف)، دار التكوين، دمشق، حلبوني (د ط)، 2009م، ص48.

وتعتبر كذلك قبلة للمثقفين تسرد البطلة الحوار الذي دار بينها وبين علي خالد قائلة: «**قال لي علي خالد: "يجب أن تسافر" وعندما سألته "إلى أين؟"**

قال بأن كل الترتيبات جاهزة، وما علينا إلاّ نختار موعد السفر لباريس، قبلة كل المثقفين آنذاك»[1] .

إضافة إلى ذلك أن **"علي خالد"** فتحت له السياسة ذراعيها ببسط نفوذه من خلال أطروحته السياسية لدفاعه عن وطنه بتقديم شهادات تثبت ما يدور في البلد ضد المستبدين الظالمين تسرد ذلك البطلة قائلة: «**وبدا أن علي خالد قد تبنى أطروحة سياسية وجاء ليدافع عنها كان المطلوب منه فقط أن يقدّم شهادات حية عما يحدث هناك، أن يضمن تأييد المثقفين لصالح حماية البلد من السقوط في يد من ينعتونهم بالظلّاميين**»[2]، حيث أصبح علي خالد إنسانا غير عادي بعد سفره إلى باريس بسبب تفاقم إحساسه بالغربة، وهامشية وضعه الاجتماعي والسياسي، فكان يجسد مصير المثقفين آنذاك.

عادت **"ليليا"** إلى الجزائر بعد وفاة علي خالد بصحبة صديق صحفي فرنسي اسمه "مارسيل" من أجل تحقيق صحفي، حيث دار بينهما حوار عن حقيقة الجزائر قبل وبعد الثورة التحريرية، ويعتبر مارسيل من أبوين جزائريين فهو يحب بلده الجزائر فتقول البطلة الساردة: «**أنه كان يحب الجزائر بلد والديه، وطفولته التي يقول إنه يتذكر منها اللون الأبيض، وزرقة البحر**»[3].تحدثت ليليا مع مارسيل في حوار دار بينهما عن مفارقة الجزائر الجزائرية والجزائر الفرنسية فتقول:

«**ضحك وهو يسمعني أخاطبه:**

–جزائركم وجزائرنا.

–وما الفرق؟

فستفزها بنوع من الإساءة لها قائلا:

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص40.

(2) المصدر نفسه، ص41.

(3) المصدر نفسه، ص45.

-ولم تعرفوا كيف تحافظون عليها»[1] .

لقد تربعت البطلة على عرش الرواية من أولها إلى آخرها، حيث كانت النواة الأساس في بناء أحداث الحكاية **"ليليا"** البطلة الجامعية المثقفة التي تتحلى بالصمت اتجاه واقعها الاجتماعي و السياسي، فهي لا تتدخل في شؤون زوجها **"مسعود"** السياسية، ولا تناقشه الأمر في ما يحدث أثناء الحرب أو حتى مع **"علي خالد"** فهي لا تفهم في أمور السلطة السياسية القائمة، فتسرد قائلة: «**لم أكن أسأله عما يعمله، ولا عمّ يحدث في الداخل، فجبهة الحرب كانت لا تزال مفتوحة، تضرب بوحشية وعنف، والقتلى بالآلاف لكني كنت أراه أحيانا مهموما بأشياء تقض مضجعه وتطير النعاس منه، تركته لحاله مثلما كان شأني تقريبا مع علي خالد لا أنخرط في مواجهات وصراعات لا أفهم خيوطها الخافية وخيوطها الظاهرة»**[2] .

في إحدى حانات القراصنة التقت ليليا بثلاثة رجال صدفة حيث كانت تعمل هناك امرأة عاهرة من غرب البلاد اسمها **"لولا"**، التي كانت الصديقة المقربة و الحميمية لها كان جميع الزبائن يحبونها لأنها كانت امرأة جذابة، فاكتشفت البطلة ليليا بأن هؤلاء الرجال كان يعمل بحارا مع أبيها، فأخبرها بقصة وفاة أبيها، وكيفية غرقه في البحر فحدثوها الرجال الثلاثة عن حقيقة لا يمكن التصريح بها الذين كانوا مهمشين من طرف السلطة أو الدولة في تغييرهم للأوضاع السائدة بتوزيع المناشير، وتوعية الناس حتى قذفت بهم صاعقة العقاب، فكان مصيرهم السجن، فالإنسان المسجون «تسلب إنسانيته ويجرد من أبسط أشياءه تمارس عليه أنواع العقاب»[3]، وهذا يتوافق مع ما قالته البطلة عن الرجال في الرواية «**لقد حاولنا تنبيه الناس لما يحدث من انزلاقات خطيرة، كنا نوزع المناشير، وتنظم حتى التجمعات الصغيرة، كنا نخطب ضد الحكم الفردي حتى جاءنا العقاب الساحق فقذف بنا في السجن وأشبعنا ضربا وهراوات»**[4]

لقد عاشت البطلة محنة المثقف المهمش الرافض للوضع السياسي في البلد فكانت تريد التغيير ولكنها كانت صامتة في ذلك الأمر لا يهمها التكلم عن تلك الحالة، ولكن عمق إحساسها بالخيبة، والفشل لم تكن واثقة من ذاك النظام فتقول: «**لم أكن واثقة من هذا الحكم**

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص45.

(2) المصدر نفسه، ص54-55.

(3) الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2010م، ص223.

(4) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص86.

من فكرة أن يتغير شيء ما»[1]، فتكسرت جميع أحلامها على صخرة واقعها المرير الذي لم يمدها سوى المعاناة، والقهر، والمأساة.

أما عن أستاذ الفلسفة الذي يدرس في الجامعة، وتعتبر البطلة طالبته التي وقعت في إعجابها به، وهو ذو شخصية مثقفة يهتم بالأفكار والتصورات الواسعة دون إعطاء قيمة لواقعه، والهروب منه واختبائه وراء نظرياته وأفكاره من أجل تحصين نفسه من خواطر السلطة والخوف من القهر، وغيرها من أنواع الاغتراب السياسي، فهو مثقف سلبي يقصي نفسه بنفسه مهتم بأموره فقط يعيش في عالم بعيد عن واقع مجتمعه لا يحاول التغيير والتجديد في الوضع، وهذا يؤدي به إلى أن يصبح إنسانا مغتربا في أرضه ووطنه من الدرجة الأولى لا يساوي شيء، فهذه العبارة تثبت قوله: «**لست من دعاة المواجهة في المجتمع لهذا أنا أختلف مع الآخرين، وكما تعرفين لست منتميا إلاّ للفكر الذي اعتنقه عقلي بعد تفحص ودراية**»[2] .

لا نطيل الحديث عن اغتراب باقي الشخصيات الموجودة في الرواية إلاّ ونعيد الكرة في التحدث عن حياة البطلة التي تعيش حياة غير مندمجة أو بالأحرى غير متأقلمة مع واقعها البائس حيث تتنازعها خواطر شتى، وكأنها تعيش في دوامة من الهواجس والأفكار التي تصنع لنفسها قوانين تضبطها لكنها عاجزة في تحقيق أو تغيير نمط حياتها فهي إنسانة مهمشة شعورها طاغي بالاغتراب رافضة لواقعها السياسي الاجتماعي في البلد، فهي تحلم بعالم مثالي يتناسب مع قناعاتها ورغباتها وكأنها تقف وحيدة تصارع القدر ويصارعها، وهذه عبارة دالة على الكراهية في عدم تكييفها مع المحيط الذي تعيش فيه تقول: «**كنت أكره هذه الكلمة "التكيف" التكييف مع المجتمع، مع البيئة، مع المحيط، مع الناس مع القوانين، وكنت أقول بأنني أقبل التكيف فقط عندما أرسم لنفسي، مع من؟ وضد من؟ أما عندما تأتي القوانين، من فوق، فتصبح بالنسبة لي سجنا مخيفا وقدرا يجب مقاومته ورفضه**»[3]، وهذه العبارة التي صرحت بها البطلة تتناسب مع عبارة أخرى تتمثل في «الرفض لمجموعة من القوانين الجبرية التي تحكم الوطن وأحيانا التصدي لها والثورة عليها»[4].

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص87

(2) مصدر نفسه، ص96.

(3) المصدر نفسه، ص102.

(4) عبد اللطيف محمد خليفة، دراسة في سكولوجية الاغتراب، ص97.

أصبحت الجزائر مستقرة الأوضاع بعد الحرب كل فرد في تلك الفترة أخذ حتفه ومصيره من تلك السياسة الظالمة المستبدة، فشخصية البطلة أخذت منها الثورة الشيء الكثير من حياتها، فجعلتها محطمة بائسة لوضعها أمام السلطة بخاصة، والمجتمع بعامة والصديق الفرنسي" **مارسيل**" وحده الذي كان عندما يجيء إلى الجزائر يسأل عنها فيتبادلان الحديث عن الجزائر وما فيها من أحداث ماضية وحاضرة غير أن حياة البطلة يغمرها التيهان الروحي المليء بالمغامرات الصعبة، والحياة الهامشية التي ارتضتها لنفسها لتعيش في واقع لا يمثل لها أي شيء سوى تحقيق الأمن والأمان في البلد من دون خوف ورعب من السلطة، فتسرد البطلة قائلة وهي تحدث صديقها الفرنسي: «**كنت أقول له متداعية مع روحي الغرقانة في بحر التجارب السيئة والحياة الهامشية:**

–أظن أن كل ما نحلم به الآن هو أن ننام من دون خوف»[1] .

ويبقى الحوار متواصلا بين "**ليليا**" و" **مارسيل**" بطرحه بعض الأسئلة عليها وهي تجيبه عن أسئلته، فسألها هذه المرة عن مصير بلدها، وإن كان يهمها الأمر وهو ينظر إليها بعينين مستغربتين حيث كانت تعيش حياة هامشية لا معنى لها سوى التفكير في مصير نفسها فقط لا غير، وهذه عبارات دالة توضح ذلك قولها:

«**–وأنت لا يهمك مصير بلدك؟**

فأقول له بعينين قاسيتين:

–كلهم ماتوا أو قتلوا أو انتحروا أو فشلوا..

–من تقصدين؟

–الذين يهمهم مصير بلدهم»[2].

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص122.

(2) المصدر نفسه، ص123.

إن ما يمكن استنتاجه مما سبق، هو أن الاغتراب السياسي بصورة عامة يتمثل في حالة عدم الرضا التي يشعر بها الفرد اتجاه المجتمع، والدولة وقوانينها.

3- الاغتراب المكاني:

يعد المكان جوهرة الذات الإنسانية، وهمزة وصل بينه وبين العالم الخارجي فهو بمثابة الموضع الذي تمارس فيه الشخصيات الاجتماعية حياتها ووجودها ويقوم المكان بدور أساسي في بناء العمل الروائي، ويعتبر كذلك الموقع الحقيقي الذي تقع فيه جل الأحداث السردية الحكائية، ولقد اتسع مفهوم المكان في رأي الدارسين من مستوى رقعة جغرافية إلى جمال الخبرة والتجربة الحياتية للإنسان وهكذا يظهر لنا "**باشلارغاستون**" العلاقة الوطيدة بين المكان والإنسان «إن المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل كلما في الخيال من تمييز، إننا ننجذب لأنه يكثّف الوجود في حدود تتسم بالجمالية في كامل الصور، لا تكون العلاقة المتبادلة بين الخارج و الألفة متوازية»[1]. فالمكان هنا بصفته قد تخلى عن الموقع الجغرافي الهندسي فزاوج الواقع بالخيالي.

ومن خلال رأي "**باشلار**" يعرف **ياسين النصر** المكان: «بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه. لذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزء من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنه»[2]

لذا يظهر المكان مرتبطا ارتباطا وثيقا بأخلاق، وأفعال الفرد، والمجتمع لذلك لا نتصور أحداث مفتقدة لقيمة مكانية، فوصف المكان هو وصف لشخصية الفرد الذي يسكنه، فلا نتخيل وجود شخصيته بدون مكان أو العكس، فهذا يولد لنا خلل في بناء أحداث الرواية.

(1) الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص190.

(2) المرجع نفسه، ص191.

«فلا يمكن فصل الحيّز المكاني عن قاطنيه وكذلك لا يمكن فصل الحيّز الخيالي عن شخصياته المتحركة ضمن مجاله، فعن طريق الخير نتعرف على خصوصيات المتحيزين فيه، فأي فصل بين الكائن والمكان هو من قبيل الافتراض التعسفي الذي لا يستسيغه العقل ولا المنطق»[1].

لقد أعطى الدارسون أهمية كبيرة في تصنيفهم للمكان الذي يؤثر على نفسية الشخص الروائي إلى مكان مجازي، ومكان هندسي، ومكان معادي، وهذا الأخير عند غالب هلسا هو الذي «يتخذ صفة المجتمع الأبوي بهرمية السلطة في داخله وعنفه الموجه لكل من يخالف التعليمات، وتعسّفه الذي يبدو وكأنه ذو طابع قدري»[2]، وهذا المكان الفني، هو ذلك المكان الذي تتأثر من خلاله حالات، وانفعالات النفس المغتربة في المكان الذي تمّ فيه الحدث.

لقد شكّل المكان في رواية **"خرائط لشهوة الليل"** حيّزا كبيرا من معاناة وآلام روحية عكس بدوره على شخصيات الرواية في تنظيم أحداثها المتتالية من خلال الأفعال، والأقوال، وقد جرت هذه الأحداث في أمكنة متعددة أبرزها لنا الروائي قصد توضيح نفسية كل شخص في عمله الروائي، وهذا المكان الذي تمّ فيه اغتراب الشخصيات كان قد ملأ حياتهم بالانكسار، والأسى، فمنهم من اختار السفر والهجرة هروبا من الواقع المرير في بلدهم، هذا ما يجسد حالتهم النفسية في خلق علاقة مغيّبة بينه وبين الشخصيات أي اللاجدوى من ذواتها في تلك الأمكنة بمعنى أن هذه الشخصيات ليس لها قيمة مادية معينة، فيحس بطل الرواية نفسه غريب لا وجود له في ذلك المكان، حيث تحدث بينه وبين المكان قطيعة.

ومن خلال ما سبق سنتناول عنصر الاغتراب المكاني الموجود في الرواية التي بين أيدينا، والمبنية على الثنائيات الضدية المكان المغلق، والمكان المفتوح اللذان دارت فيهما أحداث الشخصيات المفعمة بالحلقات الاغترابية، والأمكنة المغلقة تمثلت في البيت، الوطن، المنفى، الحانة، أما فيما يخص الأمكنة المفتوحة والمتمثلة في الجامعة، الشارع فكل هذه الأماكن مرت بها بطلة

(1) الحاج بن علي، تمظهرات الآخر في الرواية العربية المغاربية، رسالة ماجيستير، (مخطوط)، جامعة وهران، الجزائر، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م، ص58.

(2) مريم جبر فريحات، الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني، ص314.

الرواية **"ليليا"** والتي عانت فيها مرارة الغربة المكانية، والمتجسدة في أفعالها، وتحركاتها داخل أحداث القصة، والتي تعتبر الشخصية الرئيسية في سير دواليب أحداث الحكاية وتحركها.

3-1 الاغتراب في البيت:

يعد البيت مكانا مغلقا ومهم في حياة الإنسانية جمعاء، وفي حالة عدم وجوده يصبح الفرد آنذاك ضائع مشرد، وغير محمي من خواطر الدنيا، ويعتبر كذلك الفضاء الذي تسترجع فيه الشخصية أهم ما مضى من ذكريات وأحلام لذلك وضح **"باشلار"** أن البيت «هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه هي أحلام اليقضة ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت دينامية مختلفة كثيرا ما تتداخل أو تتعارض وفي أحيان أخرى تنشط بعضها في حياة الإنسان ينحى البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية، لهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كئيبا مفتتا، إنه البيت يحفظه عبر عواصف السماء وأهوال الأرض»[1]، ويعد البيت المكان الأول الذي بدأت فيه أحداث الرواية، وهذا البيت هو بيت البطلة **"ليليا"** التي عاشت فيه أيام الطفولة من ذكريات جميلة عاشتها مع والديها في أتم السعادة، والهناء والطمأنينة، فتذكرت فيه عيد ميلادها فتقول: «**لا يمكنني أن أتجاوز يوم عيد ميلادي مثلا، عندما أحضر لي والدي دمية تتحدث أو تصدر أصواتا تشبه الكلام، دمية كانت بحجمي**»[2]، وكما تذكرت والديها وبالأخص أبيها الذي تحدثت عنه وقالت: «**والدي كان يعمل في إحدى البواخر التجارية الكبيرة، وكان يغيب طويلا ويعود بهدايا وحكايات كثيرة، أمي كانت مديرة ثانوية، امرأة صارمة ومتحررة بعض الشيء، تعارفا في الباخرة**»[3]، فكان يمثل بيت البطلة في تلك الأيام بيت عائلة مثقفة سعيدة، ومليئة بالراحة النفسية غير أن حادثة واحدة غيرت كل شيء، ومتمثلة في حادثة موت أبيها في البحر بسبب مساعدته لمسافر غرق في البحر فغرق هو أيضا فتوفي من ذلك الوقت بدأت حياة ليليا في الانحدار، والتمزق من السعادة إلى التعاسة فتسرد ذلك قائلة: «**كانت حياتي في كنف عائلة مثل عائلتي ستكون من أسعد الحيوات التي يطمح لها أي طفل، غير أن حادثة واحدة قلبت الأرض على عقبها، بل**

(1) الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص204.

(2) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص08.

(3) المصدر نفسه، ص09.

زلزلتها وأخرجت سافلها لعاليها حينما وصلتنا برقية تخبرنا أن والدي توفي بالبحر»[1]، فأصبح المنزل يمثل لها كابوسا مروعا بعدما كان البيت يملأه الحب، والحنان، والسعادة فقد تغيّر بعد ذلك بتغير أمها التي تزوجت من رجل كنت معه في علاقة من قبل أن يموت أبيها فتسرد قائلة: «**تزوجت أمي بعد سبعة أشهر من وفاة والدي، ولا أدري كيف عرفت أنها كانت تحب ذلك الرجل من قبل أن يموت كانت تحبه، وتكتب له رسائل كثيرة وجدتها مخبأة في صندوقها السري، وازداد حزني من جراء ذلك**»[2]، بعد هذا الزواج المفاجئ أصبح يمثل البيت بالنسبة للبطلة موضع قلق وحزن ينتاب نفسها الغرقانة في بحر الآلام، فقررت الانفصال عن المنزل لأن شعورها الهامشي أصبح طاغي بالاغتراب المكاني الذي لا يمثل لها سوى الحزن والأسى في ذاتها تسرد قائلة: «**شعرت أن آلامي الروحية تتفاقم، حتى قررت الهرب من البيت، لكن كيف لفتاة في العاشرة أن تهرب وإلى أين**»[3].

في تلك الفترة تعرفت ليليا على صديقتها منيرة التي تدرس معها في المدرسة فألغت فكرة قرار الهروب من المنزل، فأصبحت تعيش تارة في منزلها وتارة أخرى في منزل صديقتها، فظلت مطمئنة النفس في أحضان والدي منيرة النبيلين الخلق والمعاملة الحسنة معها، تتحدث البطلة في هذا الصدد تقول: «**تعرفت على منيرة وعائلتها. كنا ندرس في نفس المدرسة كان لها والدان رائعان**»[4]

اطمأنت أمها عليها لأنها في كنف عائلة كريمة ومحترمة، وتركتها تفعل ما تشاء لأنها مهمة بزوجها الأستاذ، ربما تريد أن تتخلص منها لكي تتفرغ لعشيقها الذي تحبه.

لقد كانت البطلة سببا في موت أمها التي خططت لخطة جهنمية والتي انتقمت منها لتسترجع حق أبيها في أن تغري زوج أمها بجسدها، وجمالها فوقع بدوره في شباكها، فسقطت من هول ما رأت واحتضرت حتى توفيت، والغرفة في مفهومها العام «ليست صورة إنسانية معمارية بل هي معاني إنسانية ودلالات تاريخية بمواقعها وذكرياتها ووعي الذات بذلك ومقدار الانسجام والتنافر»[5]. بقيت ليليا مع زوج أمها في البيت فحذرته بأن لا يقترب منها فلكل واحد حدوده الخاصة، فهذه

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص09.

(2) المصدر نفسه، ص10.

(3) المصدر نفسه، ص10-11.

(4) المصدر نفسه، ص11.

(5) سماح بن خروف، الاغتراب في رواية كراف الخطايا- لعبد الله عيسى لحيلح، ص 130.

العبارة توضح ذلك فتقول: «**لم أغادر البيت بعد وفاة أمي، وحتى هو، زوجها اللعين قرر البقاء، لكننا اتفقنا على أن يرسم كل شخص لنفسه حدودا**»[1]، إن ذات البطلة متدهورة للغاية تعاني من الوحدة والعزلة النفسية في إغلاقها أبواب ونوافذ المنزل في البقاء وحدها منعزلة على الآخرين لقد تعرفت البطلة على رسام اسمه علي خالد فاغتنمت الفرصة للخروج من وحدتها في الارتباط به حتى تستقر أوضاعها، فأصبحت تعيش معه في بيته الذي يقع في أعالي حيدرة الذي كان يحتضن فيه أصدقاؤه المثقفون الهاربون من جحيم الضواحي تسرد قائلة:

«**هناك في أعالي حيدرة لم يكن هناك من خطر على حياتهم، المكان مؤمّن بالسفارات الأجنبية وإقامات المسؤولين الكبار**»[2].

يعتبر بيت خالد بالنسبة للبطلة المأمن الوحيد التي تكون قد حققت فيه حياة سعيدة أثناء فترة العشرية السوداء في البلد خوفا عن نفسها وعن الأوضاع المزرية، غير أن مكوثها في بيت علي خالد غيّر أوضاعها المضطربة التي عاشتها في بيتها الذي كانت تشعر فيه وكأنها يضيق بها فتحسنت أحوالها إلى حالة الاستقرار والأمن على عكس بيت زوجها مسعود الذي بدأ غريبا عنها، ويثير في نفسها الإحساس بالغربة الروحية، ففقدت البطلة حبها لخالد الذي كانت تحلم به، فحولت مكان سكنها إلى الجزائر العاصمة وتعتبر هذه المدينة المكان الذي تسير فيه قوانين السلطة، وقراراتها وهذه دلالة تعبيرية عن قولها: «**زواجي بمسعود، بدخول بيته وعيشي فيه بقبولي بمنطق البقاء داخل عالم ليس عالمي، وبجدران أرض لم تكن قط أرضي**»[3].

تعود ذكريات ليليا الطفولية بعد عودتها من الخارج، فتعود لبيتها الموعود بعد فترة من الزمن دامت عام، فبدأت الذكريات تنزل عليها كنزول المطر من السماء بغزارة، فهذا أثّر على نفسها وزاد إحساسها بالغربة المكانية تقول عن بيتها: «**كل شيء في مكانه، البيت الذي ولدت فيه وكبرت رأيته كما تركته أول مرة تقريبا لهذا كان البقاء في بيتي شيئا ينعش الروح، ويثير في**

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص18.

(2) المصدر نفسه، ص40.

(3) المصدر نفسه، ص 68.

لحنا خاصا من الذكريات التي راحت تتهاطل في رأسه بشكل غريب ومؤثر»[1]. ولعل أقصى أشكال الغربة المكانية التي صورها لنا الروائي **"بشير مفتي"**، من خلال بطلة الرواية التي أطلق لها العنان في سرد حكاياتها فيبدأ اغترابها مكانيا ثم ما يلبث أن يتحول إلى أنواع أخرى من الاغترابات وهي شخصية فقدت صلتها المباشرة بالمكان أي البيت الذي عاشت فيه أيام طفولتها، وكأنها غير موجودة ولا تربطها أي علاقة به سوى مكان للنوم والراحة ودخوله ساعات متأخرة من الليل تروي قائلة: «**صرت لا أطيل المكوث في البيت، بالكاد أدخل لأنام،وصرت أعود إليه دائما في ساعة متأخرة من الليل منزعة من السكر وشبه منهارة. أنام ما طاب لي النوم واستيقظ وأخرج مرة أخرى للحياة»**[2].

فبمجرد أن اخبر **"مارسيل" "ليليا"** بعودة زوجها " **مسعود"** إلى الجزائر بعد سنتين غياب من دونه، فكرت في بيع الفيلا التي اشتراها لها، ودليلا قولها: «**سنتان مرتا من حياته من دونه..وكان أول شيء قمت به بعد سماع الخبر هو إسراعي في بيع الفيلا التي تركني فيها وهربت بعدها واشتريت شقة صغيرة في حي السعادة. أغلقت عليّ فيها الباب، ورحت أنتظره»**[3]، مثلت لها الفيلا وكأنها مكان موحش من دون مسعود الذي تكرهه والتي عانت فيها مرارة العيش من ألم وأسى وخوف ورعب، فزاد ذلك في تفاقم إحساسها بالغربة.

3-2 الاغتراب في الوطن:

لقد جسد الكاتب في عمله الروائي في رواية **"خرائط لشهوة الليل"** الوطن الذي يعد بمثابة همزة وصل بينه وبين شخصيات الرواية، وهذا الوطن بلد الجزائر الذي عانى ويلات الحرب بعد أحداث أكتوبر 1988م الذي خلّف الخراب، والدمار في ذلك الوقت، وهذه الحرب قادها شباب عاطل عن العمل، وطلبة جامعيين مثقفين ثوريين حالمين في تغيير أوضاع المجتمع في الواقع، ويشكل الوطن بالنسبة للشخصيات الموجودة في الرواية فضاء للقتل، والدمار، والخراب، والقهر

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص45.

(2) المصدر نفسه، ص120.

(3) المصدر نفسه، ص127.

الاجتماعي، والعنف السياسي،وعلى رأس هذه الشخصيات البطلة ليليا التي عانت المأساة والآلام، والباحثة عن الأمن والاستقرار وعن ظل يحقق وجودها في الحياة من القوى المتسلطة، فهي بطلة صامتة لا تستطيع أن تحدث تغير في ذلك الوطن الذي شهد الدمار والاغتيال اتجه أبطال الرواية، فالبطلة تقاسي جراح كبيرة وآلام طال أمدها في علاقة تعامل زوجها مسعود الذي استغلها كطعم في خيانة الوطن للحفاظ على مكانته في السلطة لا غير، فدار بينهما حوار جسد الحب، والعزلة، والوطن، والحياة، والقتل، والخيانة، تقول البطلة:

«**-سألته مرة أتحب الجزائر؟**

-ولم يستغرب سؤالي، قال:

-"نعم، أحبها أكثر مما تتصورين"

ولكن فيما بعد سألته عن طبيعة هذا الحب، عن نوعيته إذ أنه أيضا كان يحبني ما في ذلك شك وقلت:

-"هل تحبني مثلما تحبها؟"

ففهم مغزى سؤالي، وقال مبتسما بطريقة تنم عن عمق بعيد:

" نعم أحبها مثلما أحبك، أحبها لي، لي وحدي"

"وماذا تفعل بعشاقي الآخرين؟"

ردّ من دون مزاح:

"سأقتلهم" »[1].

فكرت البطلة في الرحيل من بلدها مثلما فعل مسعود بمعنى خروجها من هذا الوطن الذي يتضمن القهر، والتسلط والسلب، والدمار، والموت والخراب، فلم تعد تطيق البطلة الأوضاع المتدهورة التي خلفتها الحرب، فأصبحت تحس وكأنها غريبة عنه حيث تقول: «**لم لا أرحل عن هذا؟ لم لا أفعل مثلما فعل مسعود وغيره من الذين قرروا الابتعاد عن هذه الأرض الخراب**

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص70.

التي لن تنجو من لعنتها أية روح سليمة. لماذا أبقى أنتظر؟ لماذا أهزم نفسي بالهامش المريع الذي أرتضيه لنفسي.»[1]

تربع البلد على أوضاع مزرية خلفته في كل الميادين في فترة زمنية كانت صعبة على شخصيات الرواية فتغيرت أمور البلد بعد ذلك، وخرجت الجزائر من تلك المحنة، فصارت آمنة مستقرة بعد فترة العشرية السوداء المؤلمة، والتي كانت قد فقدت فيها البطلة صلتها بالجزائر، فلم يعد يهمها أمر الجزائر لأن الحرب أنهكت نفسها، ولكن رغم تلك الصعاب تريد تغيير الأوضاع إلى الأحسن تقول في ذلك: «**صارت الجزائر حزينة ساكنة لوضعها المستقر. الحرب توقفت لأجل غير مسمى. هناك من نزل من الجبل،وسلّم نفسه، وهناك من بقي حريصا على ضمان حقوقه بعد عودته. مظاهر من ضحايا الإرهاب هنا وهناك تجمعات صغيرة للأهالي ممن اختطف أبناهم في تلك الفترة السوداء**»[2].

3-3 الاغتراب في المنفى:

يعد المنفى ذلك المكان الذي يعيش فيه الإنسان بعيدا عن وطنه، وبيته ومجتمعه، حيث يعيش في بلد أجنبي، غريب عنه في اللغة والعادات والتقاليد.

بعد فشله في تغيير الأوضاع السائدة في وطنه من تقتيل وحرب مستمرة لانهاية لها، فشعر نفسه يعيش بلا هدف في بلده، فقرر الرحيل والهجرة مع ليليا إلى باريس قبلة كل المثقفين بعيدا عن الجو المضطرب آنذاك لصالح حماية البلد من الضياع والانحدار اليومي، فبدأت حياة علي خالد تتغير في المنفى بعدما كان متضامنا مع الآخرين في بلده أما في باريس أصبح عكس ذلك تماما، حيث تنتابه غربة شديدة في ذلك الوطن وهذه عبارة دالة عن المنفيين خارج أوطانهم تقول البطلة:

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص122.

(2) المصدر نفسه، ص121.

«**عرفت أن المنفى يقتل الناس من الداخل، كل يوم ينزف منهم شيء جميل، وذكرى رائعة، كل دقيقة تمر تشعرهم بأن حياتهم ورائهم**»[1].

إن تلك الغربة المؤلمة في نفوس شخصيات الرواية خاصة ليليا التي انتابها الحنين، وهي في بلد الغربة عن طريق الذاكرة في تذكر وطنها الحبيب الجزائر، والاشتياق الذي يؤثر في وجدانها في تذكر الأصدقاء والأحبة، فتعبر عن معاناة غربتها العميقة بصمت داخلي تقول: «**كانت حياتي تمر من قدام عيني كشريط سينيمائي، فأتذكر من عرفت، أحن للبعض، وأفرح لتذكر وجوه البعض الآخر، كنت منفية بدوري، وهاربة مثل من هربوا، ولكن بفرق واحد بقيت صامتة ولا أتحدث في السياسة**»[2].

لم تكن حياة "**ليليا**" عادية، فشيء من الفرح والحب وشيء من الحزن والانكسار كانت حياتها متذبذبة تفرض عليها حالات اغترابية جسدتها في منفاها وبعدما أخذت المنية علي خالد شاءت الأقدر أن نفوذ البطلة إلى وطنها الأصل "الجزائر"، والحرب آنذاك مازالت مستمرة، فشعرت بغربة داخلية نفسية يسكنها اليأس، ويتخللها القلق، فأحست البطلة وهي تعود إلى بلدها وكأنها غريبة عنه من دون هدف تسعى إليه تقول: «**مات علي خالد وجبهة الحرب بقيت مفتوحة، ولم أمت لأن شيئا ما في السماء، ربما كان القدر شاء أن أعود ثانية بموته لبلدي من جديد لتلك الأرض التي بدأت أشعر نحوها بالكثير من الانتماء المشوش والغريب والآسر. أعود إلى الجزائر محملة بالكثير من الأوهام اللذيذة المسكرة**»[3].

وهكذا عاشت البطلة وبعض شخصيات الرواية الأخرى في أماكن متعددة مارست فيها أحداثا مختلفة أهمها الحانات والنوادي الليلية التي تقصدها تلك الشخصيات، ويعتبر مكان الحانات أو الكباريهات المكان الذي تقضي فيه كل شخصية حاجتها من سكر، ونشوة،

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص41.
(2) المصدر نفسه، ص42.
(3) المصدر نفسه، ص44.

وعربدة...الخ ، ويمثل هذا المكان بالنسبة للبطلة المكان المفضل لتخطي همومها القاسية التي عاشتها في الحياة بانتهاجها سبل تنسيها ذلك مثل ممارسة الجنس والسكر، والعبث ليلا وفي النهار تعيش حياة عادية كحياة أي فتاة حيث تقول: «**وأنا أرتاد الحانات والكباريهات ليلا، وأعيش في النهار يوميات فتاة عادية**»[1]، فتمثلت الحانة للبطلة وكأنها منفى في التقائها بمسعود في هذا المكان من أجل العمل السياسي الذي كان عاكس للسلطة العسكرية، والسياسية التي جسدتها مرحلة الثمانيات.

3-4 الاغتراب في الجامعة:

لقد عبرت الجامعة في هذه الرواية عن مدى تأثر فئة طلابية بالوضع السياسي في المجتمع التي جسدتها مرحلة الثمانينيات وهم «**فئة من الشباب يمتازون بسمات نفسية تميزهم عن باقي فئات المجتمع الأخرى... والشباب في هذه المرحلة يمتلك حسا استكشافيا وخياليا كبير، يرفض إملاءات وضغوطات الآخرين، ويريد دوما أن يتعرف على العالم الخارجي بطريقته الخاصة وسيكتشف كل ماهو جديد**»[2].

كانت تلتقي البطلة أصدقائها بالجامعة تحضر نشاطاتهم الأدبية تقول في صدد ذلك:

«**كنت أحضر في الجامعة حتى النشاطات الأدبية، ولقاءات الطلبة التي تحدث في نهاية الأسبوع، كنت مثلهم تقريبا أعشق الفن، وأحب الأدب وقراءة الروايات، وأريد التحدث في عالم الخيال وسحر الحكايات والعجيبة**»[3]، فبمجرد تعرفها على "**الكومندان مسعود**" حتى تغيرت حالها نهائيا ومسعود هذا رجل متزن ذو عقل راجح يعمل في السياسة، فأصبحت "**ليليا**" بعدما كانت طالبة مثقفة تعمل كجاسوسة على زملائها الطلبة تراقب تجمعاتهم وتنقل أخبارهم إلى "**الكومندان مسعود**"، فقبلت الطلب من دون إرادتها فتسرد قائلة: «**فعلت بلا إرادة، أو فعلت كمن ينتقم من نفسه هذه المرة، بدأت أحضر نشاطاتهم وتجمعاتهم وأنقل أخبارهم وحركاتهم وأعرف ما يدور في الطاهر والمختفي، وشرعت أكتب تقاريري في نهاية كل**

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص80.

(2) ولد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي (في الوسط الطلابي)، ص172.

(3) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص21.

أسبوع أرسله للكومندان مسعود»[1]. لقد كانت البطلة تحس نفسها منكسرة مهزومة بسبب تجسسها على أصدقائها في الجامعة، فهي لم تتقبل الأمر في نفسها بتاتا ولكن وافقت على طلبه وكأنها مكبلة بسلاسل من حديد من طرف السلطة السياسية وتظن نفسها اللعبة تسّير في يد مسعود لقضاء حاجاته السياسية.

3-5 الاغتراب في الشوارع:

تعتبر الشوارع الأماكن المخصصة لتنقلات الأشخاص أو هي بمثابة «أمكنة عامة تمنح الناس حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الاطلاع والتبدل لذا فهي أمكنة انفتاح، تنفتح على العالم الخارجي تعيش دوما حركة مستمرة، تؤدي وظيفة مهمة، فهي سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم»[2].

والشوارع هي الأماكن التي تنقلت فيها شخصية البطلة قصد التجوال العبثي الذي ينتاب شعورها فتخرج إلى شوارع الجزائر العاصمة البائسة حيث تعبر البطلة: «**أسير في مدينة الجزائر العاصمة أذرع شوارعها الجميلة والبائسة، أحس بنبض قلبي يحترق من الدق بعنف وشراسة**»[3]، فتعتبر الشوارع هنا الأماكن التي يتحرك فيها الإنسان ويمتد إلى الأفق فالبطلة شعرت قلبها يدق بعنف وهي تسير في شوارع العاصمة وكما بينت أيضا حالتها الكئيبة التي تبحث عن حقيقة الوجود الخائب والجسد المحطم المهدم كل هذه المشاعر ارتبطت بخيبة الجزائر وجماله فحاولت البطلة الهروب من واقعها الاجتماعي إلى التجوال في شوارع بلدها تقول: «**كنت أتجول في شوارع الجزائر العاصمة هاربة من نفسي ومن غليان قلبي وتطاحنه بالمشاعر المختلفة**»[4] فشخصية البطلة هنا تحاول الهروب من المجتمع لتنفس من جراء الانغلاق الذي تعيشه فهي تبحث عن ذاتها التي انفصلت منها فتسير في شوارع الجزائر بدون هدف ووجودها في تلك الشوارع بدون جدوى من مكانتها المتأزمة وكل شيء مختلط في رأسها وغير منظم تقول: «**سرت طويلا وحدي**

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص26.

(2) الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص244.

(3) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص124.

(4) المصدر نفسه، ص94.

في شارع الأبيار بلا هدف، وكل شيء غانم في رأسي»[1]، فالشوارع هنا كشفت لنا عن الأبعاد النفسية والاجتماعية للبطلة،وامتدادها يدل على حجم معاناتها وطولها.

(1) بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، ص109.

خاتمة

توصلنا من خلال بحثنا في موضوع الاغتراب في رواية "خرائط لشهوة الليل" لبشير مفتي إلى جملة من النتائج توج بها هذا البحث، ويمكن أن نلخصها بالشكل الآتي:

أولا: يعد الاغتراب ظاهرة إنسانية تجلت مظاهره في الحياة الاجتماعية، لكنه ظل مفهوماً غامضاً، ومعقدا يتميز بالتغيرات السياسية والثقافية والاقتصادية، والذي أدى إلى خلق عالم من التناقضات والصراعات داخل النفس البشرية بسبب عجزها وعدم قدرتها على تغيير الوضع.

ثانياً: للاغتراب معانٍ ودلالات واسعة ومتنوعة كثر الحديث عنها لدى كل من المفكرين الغرب والعرب، اللذين كان لهم الفضل في تجليته، فعند الغرب العلماء والفلاسفة نجد هيغل وماركس وفيورباخ وغيرهم، أما عند العرب نجد المسلمين الذين تحدثوا عنه في الدين الإسلامي والقرآن الكريم، فمن هؤلاء فتح الله خليف، أما عن الفكر الصوفي نجد ابن عربي، ابن باجة، ابن القيم الجوزية...

ثالثا: للاغتراب أنماط وأنواع عديدة كالاغتراب الذاتي، الاجتماعي، السياسي، الديني، الاقتصادي...

رابعا: جاءت رواية "خرائط لشهوة الليل" مجسدة لمظاهر الاغتراب ومعانيه من خلال تسجيلها لمعاناة المغترب، والمآسي التي تطارده في عالم مليء بالألم والعذاب.

خامسا: نخص دراستنا حول امرأة مثقفة اغتربت بجسدها نفسيا وسياسيا ومكانيا، وما نتج ابتعادها عن المجتمع، وما يحيط بها بسبب ظروف اجتماعية قاهرة.

سادسا: إن شخصية ليليا أسيرة بالاغتراب الذي التف حولها وجعلها شخصية مغتربة تعيش حالة غير متوازنة، وتظهر مظاهره في الصمت والقهر والوحدة والإقصاء والرفض والألم والأسى.

سابعا: يعد الاغتراب النفسي الأكثر حضورا في الرواية، إذ لازم البطلة شعورها بالكآبة، والقلق، والعزلة، والوحدة، والمعاناة بسبب ظروف ذاتية ولّد لها الحزن والهروب من الواقع.

ثامنا: في الاغتراب السياسي تنفصل الشخصيات عن واقعها دون أن يكون لها دور ايجابي فعال في تغيير واقعها، والذي قامت به الشخصيات بمثابة هروب لا غير، إما بالانكفاء على ذاتها وبقائها حبيسة المكان، وإمَّا بالهرب والرحيل نحو الخارج أملاً في الحصول على الأفضل.

تاسعاً: كان للاغتراب المكاني دوراً هاماً في متن الرواية، فقد تجلَّى بشكل لافت للانتباه من خلال اغتراب الشخصيات في تنظيم أحداثها من أفعال و سلوكات تنعكس عليها سلباً في تلك الأمكنة.

وفي الأخير هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، وحسبنا أننا حاولنا بقدر جهدنا، فإذا أصبنا فالحمد لله وإن أخطأنا أو نسينا فالكمال لله عز وجل.

قائمة المصادر والمراجع

– القران الكريم برواية ورش، عن نافع.

1/ المصادر:

- ابن منظور، لسان العرب، مادة غرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج1، 1997.
- بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008.
- الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،2003 .
- الفيروزابادي، القاموس المحيط، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997 .
- محي الدين ابن عربي، الفتوحات الملكية، دار الفكر، مج 2 ، د ت .

2/ المراجع:

ا/ الكتب العربية:

- احمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع للهجري(دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء، عمان، الاردن، ط1، 2013 .
- بهجات محمد عبد السميع، الاغتراب لدى المكفوفين(ظاهرة وعلاج)، دار الوفاء لدنيا ، مصر الإسكندرية ، ط1، 2007 .
- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007 .
- ذياب قديد، المتنبي: بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2015 .
- رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام عمان، الأردن، ط1، 2015.

- ريتشارد شاخت، الاغتراب، تر: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات ،بيروت ،ط1 ، 1980 .
- سالم بيطار، اغتراب الإنسان وحريته، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، طرابلس، د ط، 2003.
- سهير عبد السلام، مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطية ، مصر، د ط، 2003 .
- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010 .
- عادل الألوسي، الاغتراب والعبقرية، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط1، 2003 .
- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 2003.
- عبد الله حمادي، نُفَاضَةُ الجِرَابْ(تأملات في الأدب والسياسة)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط ، 2008 .
- عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث 1945 – 1962، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، ط د، 1997 .
- فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط 1، 1993 .
- فتح الله خليف، الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، مج 10، ع 1، 1979 .
- فيصل عباس، الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي)، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- مرشد احمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار التكوين، دمشق، حلبوني، د ط، 2009 .

- ناهد الشعراوي، الاغتراب والحنين في شعر مالك بن الريب التميمي، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، د ط، 2011 .
- نعيمة وابل ، الاغتراب عند كارل ماركس (دراسة تحليلية نقدية)، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، ط 1، 2013 .
- ولد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي (في الوسط الطلابي)، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2015 .
- يحي الجبروتي، الحنين والغربة في الشعر (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2008 .
- يحي عبد الله، الاغتراب: (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2015 .

ب/ الرسائل الجامعية:

- الحاج بن علي، تمظهرات الآخر في الرواية العربية المغاربية، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة وهران، الجزائر، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010.
- سلام علي حمادي الفلاحي، الاغتراب الديني في شعر ابن ابي الحديد، جامعة الأنبار، كلية العلوم الإنسانية، الفلوجة، د ت .
- سماح بن خروف، الاغتراب في رواية الخطايا لعبد الله عيسى لحيلح، ماجستير جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم اللغة والأدب العربي، 2012.
- مشقوق هنية، الاغتراب في الرواية النسوية الجزائرية، رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، 2017.

ج/ المجلات والمقالات:

- عالم الفكر، م 15، ع 2، 1984 .
- مجلة جامعة دمشق، كلية التربية جامعة دمشق، العدد 1، 2008.
- مجلة جامعة دمشق، كلية التربية، جامعة دمشق، مجلد 28، العدد 3، 2012.
- مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي (الجزائر)، ع 8، جوان، 2012 .
- مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد 7، 1995.
- مجلة جامعة دمشق، مجلد 26، ع 3 – 4، 2010 .

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: الاغتراب المفهوم والأنماط	
1/ مفهوم الاغتراب	5
1-1 لغة:	5
1-1-1 في اللغة العربية	5
1-1-2 في اللغة الأجنبية	7
1-2 اصطلاحا:	8
1-2-1- في الفكر العربي	10
1-2-2- في الفكر الغربي	18
2/ أنماط الاغتراب	28
2-1 الاغتراب الذاتي-النفسي	28
2-2 الاغتراب الاجتماعي	29
2-3 الاغتراب السياسي	31
2-4 الاغتراب الديني	32
2-5 الاغتراب الاقتصادي	33
الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في الرواية	
1/ الاغتراب النفسي	37
2/ الاغتراب السياسي	46
3/ الاغتراب المكاني	55
3-1 الاغتراب في البيت	57

3-2 الاغتراب في الوطن	60
3-3 الاغتراب في المنفى	62
3-4 الاغتراب في الجامعة	64
3-5 الاغتراب في الشوارع	65
الخاتمة	68
قائمة المصادر والمراجع	71
فهرس الموضوعات	76

ملخص:

تناول بحثنا موضوع الاغتراب في رواية " خرائط لشهوة الليل" لبشير مفتي باعتباره ظاهرة لصيقة بالوجود الإنساني انعكست على الأدب بصفة عامة، وعلى الرواية بصفة خاصة.

جاء البحث في فصلين تسبقهما مقدمة، وتلحقهما خاتمة، وقد تناول الفصل الأول مفاهيم وأنماط الاغتراب في حين تناول الفصل الثاني تجليات الاغتراب في رواية "خرائط لشهوة الليل وأبرزنا من خلالها الاغتراب النفسي، والسياسي، والمكاني للشخصيات وتوج هذا العمل بخاتمة ضمت أهم ما توصلنا اليه من نتائج منها:

- للاغتراب معاني ودلالات واسعة ومتنوعة كثر الحديث عنها لدى كل من المفكرين الغرب والعرب كما له أنماط عديدة منها الاغتراب الذاتي، الاجتماعي، السياسي ...الخ

- جاءت الرواية مجسدة لمظاهر الاغتراب من خلال تسجيلها لمعاناة الشخصيات.

Résumé :

Notre exposé a porté sur le thème de l'immigration dans la roman de **Bachir Mouffeti** " lartes du phaisir nocturne " .en la considérant comme un phénoméme attaché à l'existence humaine, reflétant sur la littérature en général, et sur le roman en particulier.

Le premier cchapitre comporte des des concepts et signifi cation de l'immigration, tandis que le deuxiéme chapitre comporte les manifestations de l'immigration dans ce roman, et nous aoons mis en évidence différents genres de l'immigration (physique / politique/ spatiale). Des personnages

Le travail est couronné par une conchusion qui comprend les conséquences les plus importantes telles que : L'immigration a de explications et de vastes significations multiples dont beaucoup de penseurs arabes et accidentaux parlent aussi on peut en identifier phusieurs types :

L'immigration subjective, sociale, politique ….ete)

- Le romane in carne les aspects de l'immigration à travers la souffrance des personnages.